الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-قسنطينة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل.....

بلاغة التكرار في قصة موسى

-دراسة وصفية إحصائية تحليلية مقارنة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات البلاغية

من إعداد الطالب:

بلخير ارفيس

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

رابح دوب

لجنة المناقشة:

	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	باديس فوغالي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
المقرر والمشرف	رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
العضو	زينب بوصبيعة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو	لخضر روبحي	أستاذ محاضر	جامعة مسيلة

المناقشة يوم 09 جويلية 2006م

السنة الدراسية: 2005-2006م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

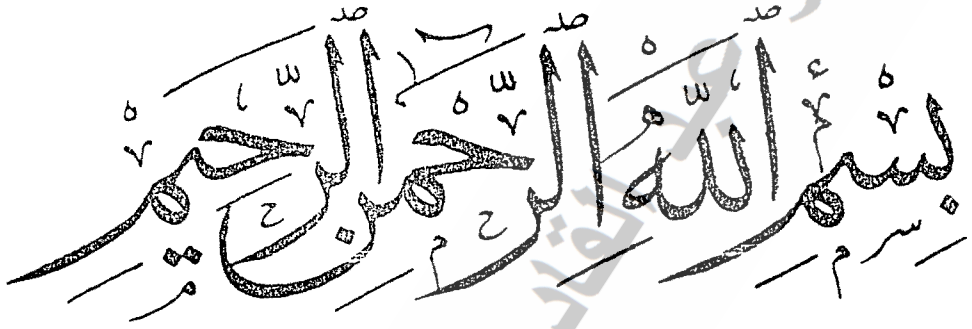

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

«من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

تحية شكر وتقدير خاصة نابعة من قلب صاف إلى الأستاذ الدكتور رابح دوب الذي سهر على تربيتي ومتابعتي منذ أن وطئت أقدامي الجامعة، فكان لي نعم الأب ونعم الأستاذ، فشكرا جزيلا مقرونا بالحناء تواضع على كل ما قدمه لي.

كما أشكر جميع الأساتذة الذين درسوني في جميع مراحل دراستي، وكذا القائمين على شؤون هذه الجامعة من المدير ابتداء إلى العمال انتهاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين: اللذين علماني المثابرة وغرسا في روح الصبر والمتابعة

إلى جميع إخوتي وأقاربي، وإلى كل الذين عرفتهم من قريب أو من بعيد

إلى كل من علمنا كلمة نعيش من أجلها ونفنى في تبليغها

وإلى كل من ربطتنا بهم علاقة حب في الله لقاءً وافتراقا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

" الحمد لله الذي نهج لنا سبيل الرشاد ، وهدانا بنور الكتاب ، " وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً " بل نزله قيّما مفصلا بينا، " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "، وشرفه وكرمه ورفعه وعظمه وسماه روحا ورحمة وشفاء وهدى ونورا، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكاذبين،وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين،وجعله متلوا لا يمل على طول التلاوة و مسموعا لا تمجه الآذان ، لا تنقضي عجائبه ولا تدرك أسراره، أما بعد.

إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لدينه ، وتكفل بحفظها " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "، فهو إذا رسالة أبدية وحجة بالغة ، أفحم البلغاء وحير العقلاء ، فوقفوا أمامه حائرين، وعن الإتيان بمثله عاجزين، " قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " .

ولهذا فقد استلهم القرآن قوته في إثبات وجوده من روح داخلية، ترافقه ما بقي هذا الوجود قائما، فهو الغاية والوسيلة على حد سواء ، على خلاف معجزات الرسل الأخرى التي وصفت بالآنية من جهة، وكونها وسيلة فقط من جهة أخرى ، إذ لم تتعد حدود إثبات الرسالة لتكون جزءا منها.

وعلى هذا الأساس فإن القرآن باق ما دامت السماوات والأرض إلا أن يشاء الله ، ومصون من جهتين أو على مستويين: مستوى مادي، بتكفل الله بحفظه ومنعه من الاندثار بدحض كل مخالف أو معاند، ومستوى معنوي من خلال ما حواه من الأسرار الغيبية والأساليب البيانية، الأولى موجهة للبشرية جمعاء دون استثناء ، أما الثانية فهي موجهة لفطاحل اللغة العربية من العرب والعجم على حد سواء، فهو لا يزال يخاطب العقول بأساليب تعدت مستوى الفنية إلى مستوى الإعجاز " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ " نزلت هاته الآية على أمة وصفت بالبلاغة قال عنها الجاحظ:" خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم"، كما أن تلك الأساليب قد تعددت ليناسب ذلك التعدد كل طبقة وما تفهمه، وكل فئة وما تدركه، ولهذا كان منها الجدل المحاورة ، المثل والقصة وغيرها، وكلها تشترك في كونها لا تخرج عن الإطار العام لطبيعة البيئة التي نزل فيها هذا القرآن.

وقد تأملت في القصة وأساليبها فأدركت أنها على غير العادة أتت متناثرة،وأجزاؤها بين السور متفرقة – إلا قصة يوسف التي ذكرت مجملة في سورة خصصت لها، وسميت باسمه ولها ما يبررها– ولعل التناثر هذا وتعدد المواقع لم يكن مقصودا لذاته،بل لغاية أسمى تتجاوز حدود الفن إلى حدود أعمق من ذلك بكثير، وفي المقابل طرح هذا التعدد العديد من القضايا التي يأتي في مقدمتها التكرار في القصة القرآنية.

ومن هذا المنطلق تأتي دراستي " بلاغة التكرار في قصة موسى " لتحاول جاهدة إماطة اللثام عن تلك الأسرار وتكشف خباياها، معتمدة في ذلك على الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكننا أن نثبت ظاهرة التكرار في القصة القرآنية أو ننفيها ؟

إن هاته الإشكالية تتفرع بدورها إلى العديد من التساؤلات التي تحاول أن تحيط بأجزاء الموضوع المختلفة.

فلو سلمنا فرضا بوجود التكرار في القصة القرآنية:

-فما هي الغايات التي أداها سواء من حيث الجانب البلاغي أو من حيث الجانب الجمالي ؟

-لماذا تتكرر قصة نبي في العديد من المرات؛في حين لا نجد إلا تلميحا لقصص أخرى أو لا يوجد لها ذكر مطلقا؟

- ولماذا يتكرر حدث في القصة الواحدة، ويطرق من زواياه المختلفة؛بينما لا نجد لأحداث أخرى سوى إشارات مختصرة ؟

- ما هو الأساس الذي اعتمده القرآن في تكرار الحدث ؟

أما لو سلمنا بعدم وجوده:

-فكيف لنا أن نبرر تعدد الموقف الواحد من القصة في العديد من السور ؟

-وهل يمكننا فعلا إعادة ترتيب أحداث القصة وفق تسلسل منطقي يثبت عدم وجوده مطلقا؟.

وتبدو أهمية هذا النوع من الدراسة في محاولتها الجمع بين أسلوبين، يتعلق الأول بالتكرار والثاني بالقصة، ثم مدى ترابطهما في تشكيل الخطاب القرآني وفق نسق فني إعجازي رائع، ذلك أن التكرار في القرآن ظاهرة لا يمكن إنكارها ، أما ارتباطه بالقصة، وتعلقه بها فلا ينبغي أن يكون إطلاقا من الأمور المسلم بها، بل على العكس من ذلك قد يجعلنا نثير العديد من التساؤلات التي تتحول بدورها إلى المسوغات الحقيقية، التي تهدف إليها هاته الدراسة، ويمكنني أن أجملها في النقاط الآتية:

1- الوقوف على ظاهرتي التكرار والقصة في القرآن وما يفيداه سواء في مجال الإبلاغ أو في مجال التأثير.

2- الوقوف على الأساليب القرآنية وما تحمله من خبايا ساهمت ليس في توضيح المعنى وفق أداء فني بديع فحسب، بل فيما انطوت عليه من أسرار أعجزت فطاحل اللغة من العرب والعجم على تقليدها والإتيان بمثلها.

3- دراسة مجمع الآراء التي عالجت قضية التكرار في القصة القرآنية ومحاولة التنقيب حول المدى الذي لعبته في تفسير الخطاب القرآني.

4- محاولة الربط بين تلك الآراء والجمع بينها في قصة واحدة لتظهر بذلك الأغراض الأساسية التي هدف إليها التكرار.

5- محاولة إعادة ترتيب أحداث القصة ترتيبا منطقيا يمكننا من الوقوف على طبيعة هاته الظاهرة وعن دورها.

وإذا كانت الدراسات في هذا المجال تمتاز بالتعدد والتنوع ، فإن مرد ذلك إلى أن كل دراسة قد طرقت الموضوع أو نظرت إليه من زاوية معينة، ولهذا فلا غرو إن تعددت الرؤى التي عالجت قضية التكرار في القصة القرآنية/تاركة المجال لكل من كان له باع في هذا المجال للتنقيب عنه ليعرف كنهه ويدرك أغراضه ليصل في الأخير إما لإثباته في القصة ويبين بلاغته ويقف عن الخصائص الجمالية التي أداها وإما أن ينتكر له متهما إياه بإعادة المعاني وفق صورة أقرب للفن منها إلى شيء آخر.

وبين هذا وذاك تأتي هاته الدراسة لتحاول الوقوف على الأسباب العميقة والخلفيات الحقيقية التي أدت إلى هاته الظاهرة، متخذة من قصة موسى عليه السلام نموذجا لذلك.

أما الأسباب التي أدت إلى اختيار قصة موسى بالذات ، فإنني أقر بداية أنها لم تكن مقصودة لذاتها كون القصص القرآني لا يتفاوت عن بعضه لا في الأداء ولا في التعبير الفني، وإنما أتى اختيارها بوصفها الأكثر تكرارا ، مما يؤدي بنا إلى الوقوف على تلك المواضع المكررة مرات عديدة.

ومن هاته المنطلقات فإن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع يمكن إجمالها فيما يأتي:

أ-أسباب ذاتية:

-رغبتي في الاحتكاك بلغة القرآن للتعرف على أسرارها وكشف خباياها.

-متعة الدراسة خاصة إذا تعلقت بالقصة القرآنية.

ب-أسباب موضوعية:

-إن قصة موسى تعد من القصص التي تعددت أحداثها وتفرقت لدرجة الشك بجدوى ذكرها في العديد من السور.

-الجدل الدائر حول هاته القضية مما يجعل الرغبة ملحة في الإطلاع عليها ومحاولة الخوض فيها قصد المساهمة في إثرائها سواء باتخاذ موقف أو بتبني طرح.

-عدم وجود دراسة متخصصة في هذا الموضوع مما يدفعني للمساهمة في تزويد المكتبة الإسلامية ببحث متخصص يساعد في تنوير العقل العربي.

وتعتبر قضية التكرار في القصة القرآنية من أهم القضايا التي شغلت الباحثين قديما وحديثا، غير أن اشتغالهم عليها لم يرق إلى الحد الذي يبرز الظاهرة من جوانبها المختلفة ومن زواياها المتعددة، بل كانت مجموعة إشارات مختصرة، تناولت القضية ببساطة ، ويطل علينا في هذا الشأن الجاحظ صاحب كتاب البيان والتبيين/والذي حاول تبريرها غير أنه لم يفصّل القول فيها بل اكتفى بإشارة خفيفة لا تتجاوز ثلاثة أسطر ، كما تناولها كل من الزركشي في كتابه البرهان والسيوطي في كتابه الإتقان.

أما في العصر الحديث فقد تناولها العديد من الدارسين،غير أنهم كسابقيهم اتسمت دراساتهم بالسطحية ولم تتجاوز حدود الوصف لتتعداه إلى التحليل العميق،ويمكننا أن نذكر في هذا المجال أحمد شيخون صاحب كتاب أسرار التكرار في لغة القرآن وعبد الكريم الخطيب في كتابه القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. وكذا محمد محمود حجازي في كتابه الفن القصصي في القرآن.

وقد استفدت من مراجع متنوعة تأتي كتب التفسير في مقدمتها والتي أوضحت لي كثيرا من الغموض ألفيته في فهم معاني الآيات،ومنها كتاب سيد قطب في ظلال القرآن، وكتاب عبد الكريم الخطيب التفسير القرآني للقرآن، وأعقبت هذه التفاسير بالإطلاع على دراسات أدبية نقدية تناولت القصص القرآني، فاطلعت على التصوير الفني للقرآن لسيد قطب، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب، أضف إلى هذا،الكتب المتعلقة بقصص الأنبياء ومنها: قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار.

ولا يخلو البحث من مصاعب وعراقيل وأول مشكلة واجهتني هو تناثر المادة العلمية بكثرة خاصة بين ثنايا كتب التفسير،مما جعل التحكم فيها أمرا صعبا وهذا ما استدعى مني ضرورة الإطلاع على أغلبها لأحاول جاهدا التوفيق بين آرائها من أجل تكوين نظرة موحدة تساهم في بناء الحدث.

وبعد أن تمكنت من جمع المادة والتحكم فيها أدركت أن المنهج الأجدر بتحليل هذا الموضوع تحليلا يمكن من الوقوف على الظاهرة من أوجهها المتعددة ومن زواياها المختلفة هو المنهج الوصفي الإحصائي التحليلي المقارن، إذ يتلاءم الأول مع طبيعة الوقوف على التعاريف والآراء المختلفة التي دارت حول الموضوع والمتناثرة، سواء في الكتب المتخصصة في الموضوع أو من خلال التفاسير، وقد كان له النصيب الأكبر في المدخل والفصل الأول، أما الثاني فلكونه يتوافق مع طبيعة رصد المواقف المتكررة في السور القرآنية، وبصماته ظاهرة من خلال لغة الجداول والنسب، أما الثالث فبصفته الأجدر بتحقيق غرض الدراسة وهو الشك والتساؤل في أدق الأمور حتى نقف على حقيقتها.

أما الرابع فقد كان له نصيب مهم من خلال محاولة ربط الأحداث ببعضها والمقارنة بينها.

وإيمانا مني بأن أي دراسة عملية تتطلب من الباحث وضع خطة محكمة تنير دربه حتى يصل إلى مبتغاه، وبقدر ما تكون تلك الخطة واضحة المعالم،سهلة المسالك،كلما كان الولوج إلى ذلك الموضوع أيسر والكشف عن حقائقه أبسط وأفضل .فقد استقر رأيي على خطة مكونة من:

مقدمة ومدخل : تناولت فيه التعريف بظاهرة التكرار وأنوعها والغرض منها وكان ذلك لأجل التعرف على الظاهرة بوجه عام، أما الفصل الأول فقد ركزت فيه على القصة انطلاقا من مفهومها وأنواعها ثم تكلمت عن أغراضها لأحدد في الأخير الكيفية التي بنيت عليها القصة القرآنية، أما الفصل الثاني والثالث

فقد كانا بمثابة دراسة تطبيقية لظاهرة التكرار على قصة موسى، فتناولت في الفصل الأول مواطن التكرار من خلال ظروف الولادة ومن خلال ظروف إرضاعه وتربيته ثم في دعوته إلى لقاء فرعون وفي نهاية الفصل حاولت أن أرتب أحداث القصة في الفصل من جديد. أما الفصل الثالث فقد اقتصرت فيه على الجزء المتعلق بالقصة بعد الدعوة،فتناولت فيه التكرار في دعوته فرعون،ثم التكرار في مواجهة فرعون وكذلك في مواجهة السحرة،ثم حاولت أن أجمل باقي أحداث القصة كما ذكرت في القرآن الكريم لأحاول في الأخير أن أعيد ترتيب أحداثها، ثم ختمت بحثي بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

وختاما أقدم شكري للأستاذ المشرف رابح دوب بالدرجة الأولى وذلك لما لمست فيه من اهتمام بالموضوع وتحمس إليه فلم يبخل علي بوقته وعلمه ونصائحه.

كما أشكر أعضاء اللجنة على قبولهم قراءة البحث ومناقشته،فلهم جميعا مني جزيل الشكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المـــدخل:

ظاهرة التكرار في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد التكرار في القرآن الكريم من أهم الظواهر التي شغلت الباحثين قديما وحديثا، وانشغالهم هذا دليل على الأهمية التي تحملها هذه الظاهرة في طياتها، فهي إضافة إلى كونها أحد أساليب العرب في بناء كلامهم، هي مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، ولعلّ هذا السر لا يمكن أن يقر به إلا أهل الإنصاف، أما أهل التعصب وذوو الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة فقد اعتبروا ذلك عيبا في القرآن الكريم، وجعلوه نافذة يحاولون من خلالها الطعن فيه، وهذه الفئة لا تزال رائحتها تنبعث منذ العصور الأولى للقرآن الكريم، ولهذا نجد أن الكثير من العلماء وعلى مر العصور قد أشاروا إليها وحذروا منها.

فابن قتيبة يذكر هذا الأمر فيقول: "بعض الطاعنين في القرآن الكريم من الملا حدة تعلقوا بظاهرة التكرار في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وفي تكرار الأنبياء والقصص من غير زيادة ولا إفادة"[1].

ويقول الخطابي إنهم يقولون "قد يوجد في القرآن الحذف الكثير والاختصار الذي يشكل معه وجه الكلام ومعناه، ثم قد يوجد فيه على العكس منه التكرار المضاعف، كقوله سبحانه وتعالى:﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وليس واحد من المذهبين بالمحمود عند أهل اللسان"[2].

كما يذكر السكاكي وهو يتكلم عن مطاعن الضالين والرد عليهم أيضا، ومنهم أنهم يقولون "لا شبهة في أن التكرار شيء معيب، خال عن الفائدة، وفي القرآن من التكرار ما شئت ويعدون قصة فرعون ونظائرها وغير ذلك مما ينخرط في هذا المسلك"[3].

وأمام طعون الملاحدة هذه كان لزاما علينا أن نبحث عن الأبعاد الحقيقية التي يمكن أن تحملها هذه الظاهرة ، وهو ما سيتكفل به المدخل الذي يحتوي على النقاط التالية:

1-تعريف التكرار.

2-أنواع التكرار.

3-أغراض التكرار.

---

[1]- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، (ص32)، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث-القاهرة، ط2: (1303هـ-1973م).

[2]-الخطابي، الرماني، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(ص51-52)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-القاهرة، ط4، دت.

[3]-السكاكي:أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، (ص592)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2: (1407 هـ-1987م).

1-تعريف التكرار[1]

1-1-لغـــــة:

الكاف والراء أصل صحيح،يدل على جمع وترديد،من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد[2].

وهو مصدر كرر إذا أعاد وردد، ويقال كرر الشيء تكريرا أعاده مرة بعد أخرى[3].

1-2-إصطلاحـا:

هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا[4]، ويعرفه الزركشي بقوله إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى[5].

---

[1]-قياس مصدر الفعل كرر هو التكرير،أما التكرار بفتح التاء فقيل هو محول عن التكرير وقيل هو مأخوذ من كرر للمبالغة و التكثير.

أنظر:سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر،الكتاب (79/4) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي-القاهرة،ط2:(1402هـ-1982م)

بن دريد أبو بكر محمد بن الحسن،جمهرة اللغة(1205/2) تحقيق رمزي منير بعلبكي،دار العلم للملايين-بيروت،ط1 :(1987م).

[2]-أنظر :إبن فارس،معجم مقاييس اللغة(126/5)،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر.د،ت.

[3]-أنظر: ابن منظور،لسان العرب،مادة كَرَرَ(3851/5) دار المعارف-القاهرة.د،ت.

الفيروزبادي:مجد الدين محمد بن يعقوب،القاموس المحيط (125/3) دار الكتاب العربي،د،ت.

الرازي:محمد بن أبي بكر،مختار الصحاح (ص567) دار الفكر -بيروت(1401هـ-1981م).

إنعام نوال عكاوي،المعجم المفصل في علوم البلاغة (ص417،169) دار الكتب العلمية -بيروت،ط2:(1417هـ-1996م).

[4]-إبن الأثير ضياء الدين،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر(7/3) تحقيق أحمد الحوفي،بدوي طبانة،منشورات دار الرفاعي- الرياض،ط2: (1404هـ-1984م)

وابن الأثير هو: نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الفتح الملقب ضياء الدين،المعروف بابن الأثير الكاتب:وزير من العلماء الكتاب،توفي سنة637هـ ،من مؤلفاته المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر،كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر.

أنظر:الزركلي خير الدين،الأعلام (31/8) دار العلم للملايين- بيروت،ط7:(1986م)

إبن خلكان،وفيات الأعيان(389/5) تحقيق إحسان عباس،دار صادر-بيروت،د،ت.

[5]-الزركشي:بدر الدين محمد بن عبد الله،البرهان في علوم القرآن (10/3) دار الفكر،ط3:(1400هـ-1980م).

وبيان التعريف هو أنه لابد من وجود دال ومدلول على أن يكون هناك ترديد، بغض النظر عن المكرر سواء أكان المكرر الدال أم المدلول، ولعل النقطة هذه بالذات –الترديد– هي التي أدت بالباحثين إلى اتخاذها كأساس لتقسيم أنواع التكرار.

2-أنــواع التكــرار:

إن أنواع التكرار تختلف حسب الدارسين)وهذا راجع لطبيعة الدراسة)فاللغويون لهم معاييرهم كما أن لدارسي القرآن معاييرهم أيضا،وإن كان في حقيقة الأمر أن القرآن لا يخرج عن كونه جزءا من اللغة العربية،وهذا فإننا سنعمد إلى ذكر أهم التقاسيم سواء المتعلقة منها باللغة أم بالقرآن الكريم .

2-1-في اللغــة:

ينقسم التكرارباعتبار الدال والمدلول(اللفظ والمعنى) إلى قسمين[1]:

1- **التكرار في اللفظ والمعنى:** كنصحك للأحد بقولك طالع طالع فهنا قد كرر اللفظ ذاته الذي يحمل المعنى ذاته أيضا، ومما ورد من كلام العرب في هذا المقال قول أبي الطيب المتنبي :

وَلَـــمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِـــــمِثْلِي عِندَ مِثْلِهِمْ مُقَامُ[2]

وينقسم هذا النوع من التكرار بدوره إلى قسمين:

1-1 **مفيـــــد:** وهو على نوعين:

- **التكرار في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان:** كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [3]، فهذا تكرير في اللفظ والمعنى وهو قوله «يُحِقَّ الْحَقَّ ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ» وإنما جيء به هاهنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأول

---

[1]-أنظر: إبن الأثير(637هـ)، المثل السائر(7/3)، إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (417،418).

[2]-أبو الطيب المتنبي،ديوان أبي الطيب المتنبي (73/4) شرح أبي البقاء العكبري، دار الفكر،د،ت.

فقد كرر أبو الطيب المتنبي لفظ "مثلي" الذي يحمل نفس المعنى.

[3]-سورة الأنفال: 7-8.

تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض[1].

وعلى هذا المنوال ورد قوله تعالى أيضا : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، فظاهر الآية أن الله سبحانه وتعالى قد كرر "الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" إذ بدأ بها الآية ليعيدها مرة ثانية، وهو حقيقة،إذ هو يدخل في هذا الباب،فاللفظ مكرر بيد أن الغرض يختلف، والقصد الذي رمت إليه الآية هو التخصيص، إذ هو غير موجود في الأول وموجود في الثاني، ألا ترى أننا إذا قلنا (زيد الأفضل) وقلنا (الأفضل زيد) كان في الثاني تخصيص له بالفضل، وهذا التخصيص لا يوجد في القول الأول الذي هو(زيد الأفضل) ،ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضدها فيقال (زيد الأجمل) أو (زيد الأنقص) وإذا قلنا (الأفضل زيد) وجب تخصيصه بالنفس و لم يكن تغيير عنه[3].

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [4]. والظاهر في هذه الآيات أيضا أن هناك تكرارا، والأمر غير ذلك، فقوله "لَا أَعْبُدُ" أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن " لَا" لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، كما أن "ما" لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال ، وقوله : «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ»؛ أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه، يعني لم يعهد منه عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى ذلك من في الإسلام[5].

---

[1]-ابن الأثير(637هـ)،المثل السائر(9/3)

[2]-سورة النور: 62.

[3]-ابن الأثير، المثل السائر ، (10/3)

[4]-سورة الكافرون

[5]-الزمخشري محمود بن عمر ،الكشاف عن غوامض التنزيل(238/4)مطبعة مصطفى محمد-مصر،ط1: (1354هـ)
و الزمخشري : محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي،جار الله أبو القاسم إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير، معتزلي المذهب، توفي سنة 528هـ، ومن أشهر كتبه الكشاف عن غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
أنظر:الزركلي، الأعلام، (178/6) ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، (168/5-174)، عادل نويهض، معجم المفسرين (666/2) مؤسسة نويهض الثقافية،ط:1(1403هـ-1983م)

- **تكرار في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد،المقصود به غرض واحد** : ومثال هذا قوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [1]، والتكرار دلالة التعجب من تقديره وإصابته الغرض، وهذا كما يقال (قتله الله ما أشجعه) أو (ما أشعره) [2]، وعليه ورد قو ل الشاعر:

نَعَمْ فَاسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثَلَاثُ تَحِيَاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلَّمِ [3]

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة، وكل هذا إيحاء به لتقرير المعنى المراد إثباته، ومن أجل ذلك نقول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، لأن قولنا لا إله إلا الله مثل قولنا وحده لا شريك له،وهما في المعنى سواء، وإنما كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته، وذلك لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى، والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز [4] وأحسن وأشد موقعا [5]

ومثل هذا جاء قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ [6]، فقوله "مِنْ قَبْلِهِ" بعد قوله "مِنْ قَبْلُ" فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول، فاستحكم بأسهم وتمادى في إبلائهم ، فكان الاستبشار على قدر اغتنامهم بذلك [7].

وعلى الطريقة نفسها أتى قوله تعالى:﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [8]، فقد نفى عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية، والنصارى مثلثة، وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على

---

[1]-سورة المدثر: 19-20.

[2]-ابن الأثير،المثل السائر(13/3)

[3]-المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن،ديوان الحماسة،(1374/3)،تحقيق وشرح أحمد أمين،عبد السلم محمد هارون،دار الجيل-بيروت،ط:1(1411ه-1991م).

[4]-يعرف الرماني الإيجاز بأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز.

عبد القاهر الجرجاني، الخطابي، الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص 76).

[5]-ابن الأثير(637هـ) المثل السائر (178/3).

[6]-سورة الروم: 48-49.

[7]-ابن الأثير، المثل السائر، (15/3)

[8]-سورة التوبة: 29.

خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة[1] وظاهر هذا التفسير هو ظاهر تفسير" لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ" لأن الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يدين دين الحق وإنما هنا القرآن أتى لإثبات غاية أخرى وهي أنه كرر هذا للغضب على المأمور بقتالهم والتسجيل عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم[2].

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]، فتكرير لفظة أولئك من هذا الباب الذي أشرنا إليه لمكان شدة النكير وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث[4].

كما ورد من هذا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[5]، فتكرير "أَنْ" مرتين دليل على أن موسى عليه السلام لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته لقتل الأول ، بل كان ثمة إبطاء في بسط يده إليه ، فعبر القرآن عن ذلك " فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ "[6].

1-2-غير المفيد : وهذا النوع يوجد في كلام العرب كون كلامهم يعتريه النقصان ويمكن أن يضاف له كما يمكن أن ينقص منه ومن هذا قول المتنبي :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جيرَانِي وَمِثْلِي ... لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامُ

بيد أنه في كتاب الله لا يوجد على الإطلاق، بل على العكس من ذلك إنه لو غيرت حركة من الحركات الإعرابية لاختل المعنى أيما خلل.

2- التكرار في المعنى دون اللفظ : وهو كسابقه ينقسم إلى قسمين:

2-1 تكرار مفيد : وبدوره له فرعان:

---

[1]-الزمخشري (528هـ)، الكشاف(147/2)

[2]-ابن الأثير(637هـ)المثل السائر،(15/3)

[3]-سورة الرعد: 5.

[4]-ابن الأثير، المثل السائر، (16/3)

[5]-سورة القصص: 18.

[6]-ابن الأثير، المثل السائر، (17/3)

– **تكرار في المعنى يدل على معنيين مختلفين**، ومثاله قوله تعالى :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمرا بالمعروف ، وذلك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف، ففائدة التكرار هاهنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله[2]، وكقوله تعالى:﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[3] فالصلاة الوسطى تدخل في مجموع الصلوات ،غير أنه خصصها لما فيها من الفضل والدرجة عنده سبحانه وتعالى.

ومن هذا المنوال كذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[4] فإن الجبال داخلة في الأرض كونها جزءا منها وإنما ورد ذكرها بالتخصيص هاهنا للدلالة على عظمة الرسالة .

– **تكرار في المعنى يدل على معنى واحد لا غير** ،ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [5] فإنه كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد،للزيادة على تحسيس عفو الوالد عن ولده،والزوج عن زوجته ، وهذا ومثاله ينظر في الغرض المقصود به، وهو موضع يكون التكرار فيه أوجز من لمحة الإيجاز، وأولى بالاستعمال، وقد ورد في القرآن الكريم كثيرا[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [7]، فإن البث والحزن بمعنى واحد وإنما كرره هنا لشدة الخطب النازل به، وتكاثر سهامه النافذة في قلبه[8].

وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ بعد ثلاثة وسبعة ، فعشرة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين، لأن عشرة هي ثلاثة وسبعة، ثم قال كاملة وذلك توكيد ثالث ،والمراد به إيجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور، لا عند الوصول إلى البلد كما ذهب إليه بعض الفقهاء[9].

---

[1]–سورة آل عمران: 104.

[2]–ابن الأثير(637هـ) المثل السائر ، (3/ 31 ، 32)

[3]–سورة البقرة: 238.

[4]–سورة الأحزاب: 72.

[5]–سورة التغابن: 14.

[6]–ابن الأثير، المثل السائر ، (34/3)

[7]–سورة يوسف: 86

[8]–ابن الأثير، المثل السائر، (34/3)

[9]–المصدر نفسه (34/3)

2-2 غير المفيد : ومن ذلك قول أبي تمام :

قَسَمَ الزَمانُ رُبُوعَها بين الصَبَا وقَبُــولَها وَأدْبَارَهَا أثلاثَا

فإن الصبا هي القبول.

ومثاله قول الحطيئة :

قــالتْ أُمَامة لاَ تجزَعْ فَقلتُ لها إنَّ العَزاءَ وإنَّ الصَبْرَ قَدْ غَلبا

هَلاَ التَمستِ لَنَا إنْ كُنْتِ صَادِقة مَالاً نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاس أو نَشَبا

فالبيت الأول معيب لكونه كرر العزاء والصبر ولهما المعنى نفسه.

غير أن هذا النوع لا يمكن أن يوجد إطلاقا في القرآن الكريم، ذلك أنه مدعاة للتقيد ببعض الأغراض الأدبية والشعرية على وجه الخصوص، وتعالى القرآن أن يكون فيه مثل هذا علوا عظيما.

2-2-في القرآن :

ويمكن أن أشير هنا إلى تقسمين[1]:

1-التكرار اللفظي : وهو أن يعاد اللفظ الواحد بنصه وكذا العبارة أو الآية وينقسم إلى قسمين:

-التكرار اللفظي المتصل: وهو ما كرر فيه اللفظ أو العبارة من غير فاصل بين الأول والثاني ومثله قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا ﴾[3]، والجملة كقوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [4].

-التكرار اللفظي المنفصل: وهو يشمل تكرار جملة أو آية أو عدة آيات على أن يكون بينها فاصل كقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [5].

---

[1]-أنظر غانم قدوري الحمد ، حكمة التكرار في القرآن الكريم ، (ص 579 – 580) ، مجلة المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سـعيد النورسي ، استامبول ، ط 1 : (1998) .

[2]-سورة المؤمنون: 36.

[3]-سورة الإنسان: 15-16.

[4]-سورة المدثر: 19-20

[5]-سورة القمر: 16.

2-التكرار المعنوي: وهو تكرار المعنى الواحد والقصة الواحدة بألفاظ مترادفة، وهذا الكلام فيه نظر .

كما يقسم بديع الزمان النورسي التكرار إلى نوعين[1]:

-تكرار الجملة ويدخل فيما سماه بن رشيق التكرار اللفظي معتبرا أن «أكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني»[2]، ومن المعجز من هذا النوع قوله تعالى:﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3]، كلما عدد منّة أو ذكّر بنعمة.

-تكرار القصة وهذا الأمر كذلك فيه نظر .

والمخطط الآتي يبين أنواع التكرار

---

[1]-النورسي بديع الزمان سعيد، الكلمات (526/1)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، مطبعة المدني – القاهرة ، ط 2 : (1412 هـ - 1992) .

[2]-ابن رشيق القيرواني،العمدة ، (2 / 73) ، دار الجيل – بيروت ، ط 5 : (1401 هـ - 1981) .

وابن رشيق هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني أديب ناقد وباحث ولد في المسيلة وتعلم الصياغة ثم مال إلى الأدب وقال الشعر ورحل إلى القيروان ومدح ملكها واشتهر فيها توفي سنة 463 هـ ، من كتبه : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، قراضة الذهب ، الشذوذ في اللغة .

أنظر الزركلي، الأعلام، (191/2) ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، (85/2-89) .

[3]-سورة الرحمن: 13.

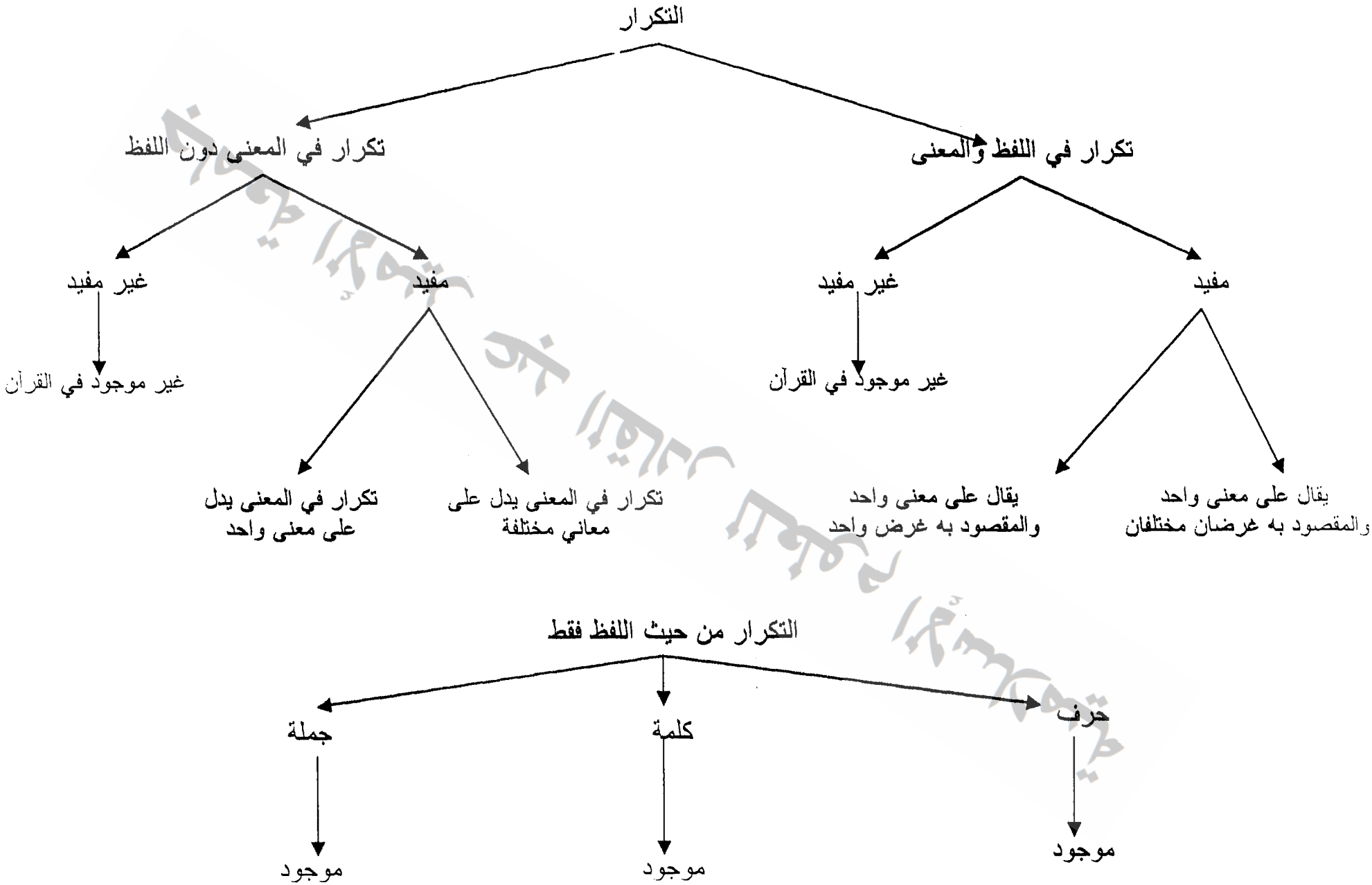

أنواع التكرار بصورة عامة

3- أغراض التكرار :

إن العرب تكرر كلامها لغايات تواطأت عليها وجعلتها أساسا لها ؛ فكان لهم هذا الفن وتفننوا فيه أيما تفنن، فكتبوا على منواله وبرعوا فيه ، والقرآن الكريم يدرك هذا جيدا؛فنزل بأسلوبهم،غير أنه أراد غايات وأغراضا أشرف وأنبل مما كانت العرب تتصوره أو تبنيه، ولهذا تعددت أغراض التكرار في القرآن الكريم إلى الحد الذي يجعلنا نقر صراحة بعدم إمكانيتنا من حصرها ،كون أن العقل الإنساني يبقى عاجزا على حصرها في أعز المراحل التي يعتقد فيها أنه قد بلغ منتهاه، ومرد هذا العجز إلى كون الغايات والأغراض التي رمى إليها القرآن الكريم أشرف من العقل ذاته، وعلى هذا الأساس، فإنني سأحاول قدر المستطاع عرض الغايات العظمى التي أظن أنها تؤدي المعاني القرآنية ذاتها، ومنها:

3-1 -الحث على العظة والاعتبار والتأمل:

ويعد هذا الغرض من أهم الأغراض على الإطلاق كونه يتطلب من القارئ الوقوف على مواضعه فيفهمه ويدرك أسبابه ليتبين له الغرض الذي أداه.

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1]، فقد كررت هذه الآية في العديد من مواضع سورة الشعراء، وتأتي بعد ذكر نهاية مصير كل قوم كذبوا الرسل واتبعوا الأهواء، وهي بهذا إشارة واضحة من الله تعالى إلى الناس جميعا يطالبهم فيها بالتفكير والتدبر كي لا يكون لهم نفس المصير، ويذكرهم في نهاية الآية بأن الله بقوته وعزته سيرحم كل من ابتعد عن طريق الزيغ والضلال،واهتدى إلى طريق الحق والصراط المستقيم،وهذا الغرض يتكرر بعد القصص في أغلب الأحيان.

ومثاله أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[2] فهذه الآية صريحة في خطابها موضحة لمغزاها، إنها تطالب بأخذ العظة والإدكار[3].

3-2- التقرير:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا.

---

[1]-سورة الشعراء: 8-9.

[2]-سورة القمر: 17.

[3]-أنظر الزمخشري (528ه)الكشاف (46/4)

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [1]، فتكرار قوله تعالى: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» تقرير لما هو موجب تقواه، ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه، لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله[2].

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[3]، فتكرار قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» وترك الضمير إلى التصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس[4].

3-3-التقرير والتوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [5] فقد كررت في سورة الرحمان أكثر من ثلاثين مرة لأنه عدد في هذه السورة نعماءه وذكر آلاءه، ونبّههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع كل خلة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها[6] وهذا الغرض كثير في القرآن الكريم ذلك أن الله عز وجل يريد أن يقيم الحجة على الناس فلا يكتفي بذكر ما أمرهم به بل يرجع إليهم ليقرر لهم ويوبخهم عن النعم التي أسداها لهم و لم يحسنوا التصرف معه[7].

---

[1]-سورة النساء: 131-132.

[2]-الزمخشري، الكشاف، (569/1)

[3]-سورة الروم: 44-45.

[4]-الزمخشري، الكشاف ، (206/3)

[5]-سورة الرحمن: 13.

[6]-ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مشكل القرآن(ص239) شرح السيد أحمدصقر،دار التراث-القاهرة،ط2 : (1303ه-1973م) .

وابن قتيبة :عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد العالم الناقد الأديب ومن المصنفين المكثرين ،ولد بالكوفة وعاش ببغداد ،وأخذ عن علمائها الحديث ،الفقه، اللغة، التفسير، النحو ،الأدب والأخبار توفي سن276ه من مؤلفاته تأويل مشكل القرآن وغريب القرآن.

أنظر:الزركلي ،الأعلام(137/4)،عادل نويهض معجم المفسرين(327/1 – 328)،ابن خلكان،وفيات الأعيان(86/4 -91).

[7]-أنظرابن رشيق ، العمدة (75/2) .

3-4-زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة والإيقاظ من سنة الغفلة:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ.يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [1]، فتكرار النداء فيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة [2].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[3] ، فإنه صدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله " يَا أَبَتِ " توسلا إليه واستعطافا حتى يفيق من غفلته ويهتدي إلى الرشاد[5].

3-5- تذكير ما قد بعد بسبب طول الكلام :

وهذا التكرار قد يكون مجردا عن رابط كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[6]، وقد يكون مع رابط كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7]، وكما في قوله: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[8] فقوله "أَنَّكُمْ" الثانية بناء عن الأولى إذكارا به خشية تناسيه[9]، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ

---

[1]-سورة غافر: 38-39.

[2]-الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن (13/3) دار الفكر، ط3 : (1400هـ - 1980) والزركشي هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبوا عبد الله بدر الدين: فقيه شافعي أصولي مفسر وأديب تركي الأصل توفي سنة 794 هـ من تصانيفه البرهان في علوم القرآن وتفسير القرآن الكريم.
أنظر: الزركلي، الأعلام (60/6) ، عادل نويهض، معجم المفسرين، (505/2) .

[3]-سورة مريم: 40-45.

[5]-الزمخشري،الكشاف (412/2)

[6]-سورة النحل: 110.

[7]-سورة آل عمران: 188.

[8]-سورة المؤمنون: 35.

[9]-الزركشي، البرهان في علوم القرآن (14/3)

لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [1] فقد كرر الفعل " رَأَى" مرتين والثانية كانت بسبب طول الكلام عن الأولى.

3-6-التعظيم والتهويل[2]:

كقوله تعالى:﴿ الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾[3] وقوله: ﴿ الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ﴾[4] وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[5] وقوله : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وقوله:﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[6] فالتكرار في هذه المواضع دليل على عظمة المكرر فقوله "مَا الْحَاقَّةُ" و"مَا الْقَارِعَةُ" تهويل ليوم القيامة بتعديد أسمائه من جهة،وتكرار تلك الأسماء من جهة أخرى، أما عن ليلة القدر فقد كررها الله سبحانه وتعالى لما لها من العظمة،وفي السورة ذاتها نجد سبب هذا التعظيم ومفاده نزول القرآن والملائكة.

3-7-الإيحاء بالرهبة والخوف:

كما في سورة المرسلات فقد كرر قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[7] فإذا نظرنا إلى هذه السورة وجدناها تتحدث عن وقوع اليوم الآخر وتصفه،فلا جرم كرر هذا الإنذار عقب كل وصف له أو فعل يقع فيه أو عمل من الله يدل على قدرة يحيي بها الناس بعد موتهم، وفي هذا التكرار ما يوحي بالرهبة ويملأ القلب رعبا من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب[8].

---

[1]-سورة يوسف: 4

[2]-ابن رشيق، العمدة، (75/2)

[3]-سورة الحاقة: 1-2.

[4]-سورة القارعة: 1-2

[5]-سورة القدر: 1.

[6]-سورة الواقعة: 27.

[7]-سورة المرسلات: 15.

[8]-أنظر: الخطيب القزويني ، الإيضاح (ص113) مطبعة محمد علي صبيح،القاهرة(1385ه-1966م)

3-8-التأكيد[1]:

والتكرار أبلغ من التأكيد لأنه وقع في تكرار التأسيس،وهو أبلغ من التأكيد،فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز [2]، ولهذا قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [3] إن الثانية تأسيس لا تأكيد لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال "ثُمَّ" تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول[4].

3-9- الإيحاء باليأس:

كما في سورة الكافرون فإن التكرار فيها يوحي باليأس إلى قلوب من كفر من أن ينصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن دينه إلى ما كان يعبد هؤلاء الكفرة فليتدبروا أمرهم بينهم مليا ليروا سر هذا الإصرار منه فعساهم يدركون أن هذا السر هو أن الرسول على حق فيما يدعو إليه فلا ينصرف إلى أديان لا سند لها من الصواب والحق[5].

3-10- التعجب:

كقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [6] فالتكرار هذا تعجب من تقديره وإصابته فيه ورميه الغرض الذي كانت تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الإستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم " قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" هكما بهم وبإعجابهم بتقديره على حد " قاتله الله ما أشجعه!"[7].

3-11-المبالغة في الذم:

ومثاله قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[8]، فقوله " لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ " يقوم مقام قوله " وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ" لأن من لا يؤمن بالله ولا باليوم

---

[1]-ذكره الزركشي بلفظ التأكيد أنظر البرهان (11/3) وأطلق عليه ابن الأثير التوكيد أنظرابن الأثير،المثل السائر (3/ 230)

[2]-أنظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن (11/3)، ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن (ص 235)

[3]-سورة التكاثر: 3-4

[4]-الزمخشري .الكشاف (231/4)

[5]-أحمد أحمد بدوي من بلاغة القرآن(ص155) مطبعة نهضة مصر.القاهرة(1256ه-1970م)

[6]-سورة المدثر: 19- 20

[7]-انظر: الزركشي ، البرهان ، (11/3)، ابن قتيبة ، تأويل المشكل القرآني ، (ص235)

[8]- سورة التوبة: 29.

الآخر لا يدين دين الحق، وإنما كرر هنا للخطب على المأمور بقتالهم، والتسجيل عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم ليكون ذلك ادعى لوجوب قتالهم وحربهم[1].

وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] فتكرار لفظة "أُولَئِكَ" من هذا الباب الذي أشرنا إليه لمكان شدة النكير وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث[3].

3-12- التخصيص :

كما في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[4] فإن قلت فلو قيل "وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ" فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرار تخصيص لكفران النعمة بهم، وإنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله: ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾[5].

3-13-تثبيت المكرر في النفس:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[6] فقد كرر الأمر بالتقوى تأكيدا "وَاتَّقُوا اللَّهَ" في أداء الواجبات وهو في هذا دعوة لتثبيت التقوى في النفوس[7] وكما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[8] فالتكرار تأكيد للردع والإنذار فقوله "كَلَّا" ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه و"سَوْفَ تَعْلَمُونَ" إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرار تأكيد للردع والإنذار عليهم و"ثُمَّ" دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول لمن تنصحه (أقول لك ثم أقول لك لا تفعل) [9] وذلك لأن أصل "ثم" للدلالة على تراخي الزمان،لكنها قد تجيء لمجرد التدرج في درج

---

[1]-ابن الأثير (637 هـ) المثل السائر(15/3)

[2]-سورة الرعد: 5.

[3]- ابن الأثير ، المثل السائر ، (16/3)

[4]-سورة غافر: 61

[5]-سورة الشورى: 48.

[6]-سورة الحشر: 18.

[7]-الزمخشري ، الكشاف (84/4)

[8]-التكاثر 3 - 4

[9]-الزمخشري ، الكشاف ، (231/4)

الارتقاء من غير اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج، ولا لأن الثاني بعد الأول في الزمان وذلك إذا تكرر الثاني بلفظ الأول نحو (والله ثم والله).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– الخلاصـــــــة :

إن تحديد مفهوم عام لظاهرة التكرار في القرآن الكريم لم يكن بالأمر العسير على الدارسين،بل على العكس من ذلك فقد اتفقوا في غالبهم على تعريف محدد ، خاصة إذا علمنا أن هذه الظاهرة مما يدخل في كلام العرب وتشكل وحدها نسقا معرفيا يمكن الاطمئنان إليه ، فهي كما ذكرنا مما ألفته العرب ووطئت أقدامها عليه .

أما إذا تكلمنا عن أنواع التكرار في القرآن الكريم فإن الباحثين قد ذهبوا اتجاهات شتى،واتخذ كل واحد منهم مقياسا يبني عليه الأسس العامة للظاهرة ،ويحاول من خلال تلك الأسس تعريفها وتحديد ضوابطها ، ولهذا فإن تقسيم التكرار انطلاقا من اللفظ والمعنى قد كان أشهر تلك التقاسيم على الإطلاق، كونه يحصر ظاهرة التكرار في مجال معين،وعام مما يجعل التقسيمات الأخرى تدخل ضمنه،فإذا تكلمنا مثلا عن الذين يقسمون التكرار انطلاقا من اللفظ المكرر وحده فإننا سنخرج إلى أنواع أخرى من التكرار ويكون في مقدمتها تكرار الحرف وتكرار الكلمة ثم تكرار الجملة ، وانطلاقا من إيماني الحقيقي بأن هذا التقسيم لا يعدو إلا أن يكون فرعا من التقسيم الذي ارتضيناه في مذكرتنا فقد تجاوزته وغيره،ويبقى للذين اتجهوا إليه مبرراتهم المنهجية التي من خلالها يحاولون الوصول إلى غايات قد تكون ليست التي أود الوصول إليها.

أما إذا تحدثنا عن أغراض التكرار فإن الأمر سيتشعب بنا إلى الحد الذي يجعلنا نقر في البداية بأنها متعددة ومتنوعة،ومن العسير حصرها،كونها لا تخضع لمقاييس محددة من خلالها يمكن الحكم على جميع الأغراض بقدر ما تخضع لأمور أعقد وأعمق بكثير مما نتصور ، فإذا أقررنا مثلا بالسياق العام،وهو عنصر محدد للكلام،فإن هذا الأخير تتحكم فيه العديد من العوامل،تدخل حتى طريقة الأداء في تحديد غرضه البلاغي،ومن هذا المنطلق فإنني أقر بمدى فاعلية الظوابط البلاغية التي وضعها المختصون لتحديد الغرض البلاغي من التكرار في اللغة من ناحية ، كما أنني أقر بعدم كمال تلك الأغراض التي وضعها المفسرون وذوو الاختصاص لظاهرة التكرار في القرآن الكريم من ناحية أخرى ، كون الإقرار بالكمال يعني انتهاء البحث في هذا الموضوع،وعلى هذا الأساس فإني أرى بأنه ينبغي أن ينظر إلى الظاهرة من أوجهها المتعددة ومن زواياها المختلفة،حتى نتمكن من تحديدها تحديدا يتوافق مع طبيعتها . ويمكن أن أطرح في هذا المقام كأمور عملية لدراسة الظاهرة بعض الضوابط التي أعتقد أنها تساعدنا في دراستها ومنها :

1– وضع النص القرآني في إطاره الزمني الذي نزل فيه ، وهذا ما يجعلنا نقف فعلا على الظروف الحقيقية التي نزلت فيها تلك الآية ، ومعرفة الأحوال النفسية للنبي صلى الله عليه وسلم بصورة خاصة والمسلمين بصورة عامة.

2- إن وضع النص القرآني في إطاره الزمني ينبغي أن يُعتمد على الكتب التي تتناول أسباب النزول على وجه التحديد وهذا أمر تابع للأول بالضرورة .

3- إذا اتحد الموقف واختلف الزمن؛ فإن مرد هذا الأمر ينبغي أن يرجع فيه إلى الأصول العامة التي نطقت بها العرب وهذا سيكون كحل أخير.

ومن خلال كل ما تم ذكره ينبغي أن أقر بأن التكرار ضروري ذلك أن له أغراضا لا يمكن لغيره من الأساليب أن يؤديها ، كما ينبغي أن يعط حقه من الدراسة والتحليل ، ذلك أن النظرة السريعة واللمحة الخاطفة تؤدي في غالب الأحيان إلى تمييعه ، إن لم نقل إلى عدم جدواه في تكوين الخطاب القرآني بالذات وهذا مما لا ينبغي أن يكون على الإطلاق .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

القصة في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعـــد القصـــة من أهم الأساليب التي اعتمدت عليها العرب ليس في تدوين تاريخها فحسب، بل جعلـــتها من أهم الوسائل التي تساعد في تقويم النفس وتهذيبها، نظرا لما تحمله في ذاتها من عنصري الحكمة والتشويق، والثاني أهم من الأول،إذ هوالذي يجعل القارئ ينساق وراء القصة يتفحص "خطوطها وأحداثها ومشاهدها وأبطالها وما ينفعلون به ويفعلونه"[1].

أضف إلى هذا، إن القصة تختزن في ذاتها الكثير من الأشياء، مما يجعل أي قارئ يبحث عن مواطن الاســـتفادة منها، فهي بمثابة "مرآة متعددة السطوح، وكل قارئ يلقي بناظريه على السطح الذي يعكس صـــورته بأمانة ودقة، أو لعلها كالبناء الضخم ذي الكوى ولكل قارئ أن يطل من الكوة التي يختارها له ذوقه ومزاجه وطبيعته"[2].

وأمـــام هذه الأهمية، فإن القرآن لم يغفل عنها، بل جعلها أحد أساليبه التشريعية والتقويمية، ولكن وفق بناء يختلف عن ذلك الذي بنت به العرب قصصها، كون الهدف يختلف جذريا بينهما، وهذا سأحاول دراسة القصة من خلال النقاط التالية:

1-تعريف القصة القرآنية.

2-أنواع القصة القرآنية.

3-أغراض القصة القرآنية.

4-بناء القصة القرآنية.

---

[1]- ميشال عاصي، الفن والأدب (ص 157)، مؤسسة نوفل- بيروت، لبنان، ط3: 1980.

[2]-محمد يوسف نجم، فن القصة، (ص30)، دار الثقافة- بيروت، ط7: 1979.

1-تعريف القصـــــة :

لغـــة: القصص مشتق من القص ، نقول قص أثره قصا وقصيصا تتبعه[1].

والقص إتباع الأثر ويقال خرج فلان قصصا في أثر فلان وقصا، وذلك إذا إقتص أثره، وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا[2].

وكلمة قصة في المدلول اللغوي : الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض عبرة مع شيء من التطويل في الأداء[3].

وقد ورد لفظ القصة في مواضع من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِه لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [4]، يقول الرازي القصص إتباع الخبر بعضه بعضا، وأصله في اللغة المتابعة[5] وقوله تعالى:﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِه قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِه عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [6] أي اتبعي أثره واطلبي خبره حتى تطلعي على حقيقة أمره أو انظري إلى أين وقع وإلى من صار[7].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [8] أي رجعا من الطريق الذي سلكاه، يقصان الأثر أي يتبعانه[9].

وخلاصة المعنى اللغوي أن القصة تعني التتبع بمعناه العام سواء أكان أثرا أم طريقا أم غيرهما وعلى هذا الأساس سيكون عملنا.

---

[1]-الفيروز بادي ،القاموس المحيط ، مادة قَصّ (180/2)

[2]-ابن منظور ، لسان العرب، مادة قص (102/5)

[3]-عبد الحافظ عبد ربه ، بحوث في قصص القرآن (ص 41) ، دار الكتاب – بيروت ، (1972)

[4]-سورة يوسف: 3.

[5]-الرازي ضياء الدين ، تفسير الفخر الرازي (68/18) ، دار الفكر ، ط3 : (1985)

الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل ، الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي برع في علم الكلام له كتب عدة منها : تفسير القرآن، المطالب العالية ونهاية العقول .

انظر:ابن خلكان.وفيات الأعيان (4/248-252) الزركلي.الأعلام (6/313)

[6]-سورة القصص: 11.

[7]-الرازي، تفسير الفخر الرازي، (24 /297).

[8]-سورة الكهف: 64.

[9]-الرازي، ، تفسير الفخر الرازي (21 /126)

اصطلاحا: قبل التطرق إلى التعريف الاصطلاحي للقصة ينبغي علينا أن نشير إلى ضرورة التفريق بين نوعين من القصة وهما: القصة الأدبية ،والقصة القرآنية.

1-1-القصة الأدبية:

هناك العديد من التعاريف التي حاولت تحديدها بدقة، إلا أن كلا منها قد تطرق إليها من زاوية محددة، ومن أجل ضبط أكثر للتعريف أعتقد أنه من الواجب عرض مجموعة من التعاريف يمكنها أن تشترك جميعا في بناء تصور عام لمفهومها ومنها:

«القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ويكون نصيبها في القصة من حيث التأثر والتأثير»[1].

ويعرفها سيد قطب: "التعبير عن الحياة ، الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها، كما تمر في الزمن ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية بفارق واحد هو أن الحياة لا تبدأ من نقطة معينة،ولا تنتهي إلى نقطة معينة،ولا يمكن بتر لحظة منها تبتدئ فيها حادثة ما بكل ملابساتها عن اللحظة التي قبلها،ولا تقف هي عند لحظة ما لتضع خاتمة لهذه الحادثة بكل ملابساتها، أما القصة فتبدأ وتنتهي في حدود زمنية معينة، وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتي هذه الحدود"[2].

ويعرفها شوقي ضيف "عمل كبير بسطت فيه الحياة بجميع عناصرها الواقعية والإنسانية بل بجميع ذراتها النفسية والذهنية"[3].

ويعرفها محمود البستاني "بأنها عمل فني قائم على بناء هندسي خاص يصطنع كاتبها واحدا أو جملة من الأحداث والمواقف والأبطال والبيئات عبر لغة تعتمد السرد[4]أو الحوار أو كليهما، وتتضمن هدفا فكريا محددا يخضع الكاتب عناصره إلى ما هو ممكن ومحتمل من السلوك، وذلك وفق عملية اصطفاء خاصة

---

[1]-محمد يوسف نجم ، فن القصة (ص 9).

[2]-سيد قطب ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه (ص75) ، دار الفكر العربي،د ت .

[3]-شوقي ضيف ، في النقد الأدبي (ص227) ، دار المعارف – القاهرة ، ط 7 : د ت

[4]-السرد في اللغة: تقدمه شيء إلى شيء، تأتي به منسقا بعضه في أثر بعض وسرد الحدث إذا تابعه وكان جيد السياق . انظر،ابن منظور،لسان العرب مادة سرد (1987/3) .

أما السرد في مفهومه الفني: هو الخطوات التي يقوم بها الحاكي وينتج عنها النص القصصي ،أنظر سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة (ص87 - 88) ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر د ت.

للعناصر المذكورة»[1].

ويعرفها سليمان عشراتي «فعل إنساني تعبيري يمسح حدثا واقعيا أو متخيلا يجسد من خلاله وبواسطة القول (الملفوظ أو المكتوب) عينة لواقعة من وقائع الحياة بأسلوب تصريحي أو تلميحي (رمزي) وتقنية بسيطة ،خطية في محيط واقعي أو بطرح تجنيحي يخرج عن منطق العلية ويندرج في جدلية مكانية زمانية أسطورية»[2].

غير أن هذه التعاريف كلها ينبغي إدراجها مجتمعة كتصور عام لحقيقة القصة وفق منظور أدبي تتعدد غاياته وتتنوع أبعاده وفق الرؤى أو الغايات التي يطمح إليها الأدباء سواء أكان ذلك من أجل معالجة قضية مجتمعية يفترض الكاتب أو الأديب أنها مهمة وينبغي معالجتها، أم من أجل تحقيق ترف فكري بعمل أدبي هو للإمتاع والمؤانسة أقرب منه لأي شيء آخر، بيد أن هذا الأمر كله يختلف تماما عن القصة القرآنية انطلاقا من مفهومها أو الغايات التي رسمت لأجلها ، ولهذا فلا غرو إذا احتوت قصة في القرآن على عناصر وتنازلت عن أخرى كان من الواجب أن توجد لو كان العمل أدبيا.

1-2-القصة القرآنية:

إن مفهوم القصة القرآنية لا يختلف كثيرا عن مفهوم القصة الأدبية من الناحية اللغوية إذ كلاهما يشترك في كونهما يعنيان تتبع الخبر أو الأثر، فنجد القاسمي يعرف القصص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أنه تتبع الوقائع بالإخبار عنها تثبتا بعد شيء على ترتيبها في معنى، قص الأثر وهو اتباعه حتى ينتهي إلى محل ذي الأثر[3].

كما أن فخر الرازي يفسر القصص في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أنه إتباع الخبر بعضه بعضا[4]، ويقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ إن القصص مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة[5].

أما الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يقول أي نخبرك فيه عن

---

[1]-محمد البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن (انظر المقدمة) ، دار البلاغة – بيروت (1989)

[2]-سليمان عشراتي، الخطاب القرآني (ص 65)، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ، (1998)

[3]-محمد جمال الدين القاسمي ، التفسير المسمى محاسن التأويل (331/2) ضبطه وصححه محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 : 1418هـ -1997م.

[4]-الرازي، تفسير الفخر الرازي، (68/18)

[5]-المصدر نفسه (74/8)

الأخبار الماضية وأنباء الأمم السالفة[1].

"إلا أن القرآن الكريم استعمل زيادة عن لفظ القصة لفظي النبأ والخبر فقال تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [2] وقال:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [3] وكلاهما يشترك في التحدث عن الماضي ، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جريا على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز، والتي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان، فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث التي مضى الزمن بعيدا بها ولفها في أطوائه على حين أنه أستعمل الخبر والإخبار عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع"[4].

وإن تعدد المصطلح فغاية القصة واحدة،وهي الخضوع للغرض الديني،كما أنها مظهر من مظاهر الإعجاز فهي: "تخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس وإدراك الجمال الفني دليل إستعداد لتلقي التأثير الديني، حيث يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع حتى تصفو النفس بتلقي رسالة الجمال"[5].

"ومن هنا يظهر لنا الفرق جليا بين القصة الأدبية والقرآنية.إذ تعريف القصة كما تواضع عليها كثير من رجال فنها لا ينطبق على مفهوم القصة القرآنية فهي ليست خاطرة في ذهن الله، ولا هي ثانيا تسجيل تأثرت به مخيلته، ولا هي ثالثاً بسط لعاطفة إختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بكلام ليحدث أثرا في نفوس القارئين مثل أثرها في نفسه"[6] " فالقصة القرآنية مزيج من العمل الفني والعمل الديني"[7].

---

(1)-الطبري بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (330/4) ، حققه وعلق عليه بشار عواد المعروف وعصام فارس الحلستاني، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط 1 : (1414 هـ - 1994 م).

(2)-سورة هود: 49.

(3)-سورة محمد: 31.

(4)-عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ص 45.

(5)-سيد قطب،التصوير الفني في القرآن ص 113.

(6)-بكري شيخ أمين،التعبير الفني في القرآن، دار الشروق- بيروت ، لبنان ط 4(1400هـ 1980م) ص 216

(7)- إبراهيم عوضين، البيان القصصي في القرآن الكريم (السعودية: دار الأصالة للثقافة النشر والإعلام – الرياض، ط: 2، 1410هـ- 1990م ص 18)

2- أنـــــواع القصص القرآني:

إن تحديد أنواع القصص في القرآن الكريم يتطلب بداية ضبط الأسس التي يمكن أن ينبني عليها أي تقسيم لها، غير أن هذه الأخيرة لا يمكن تحديدها في ضابط واحد يمكن من حصر جميع أنواعها، ولهذا فلا غرو إذا تعددت الأسس وتنوعت الأقسام، فهي من الأمور الواجب وقوعها خاصة في التعامل مع أسلوب من أساليب الله تعالى. ومن هنا ، كان لزاما على كتابات ذوي الاختصاص أن تتعدد رؤاها لكن ليس إلى الحد الذي يجعل منها نقطة خلافية لا يمكن حصرها، ولهذا فإن قصص القرآن متنوعة؛ فقد كان منها القصة التاريخية والواقعية والتمثيلية والقصة الطويلة والقصيرة[1] والقصة الأسطورة[2] ولكن اللمحة الدقيقة لهذه الأنواع يجعلنا ندرك أنها تنقسم إلى قسمين انطلاقا من معيار الحدوث وعدمه: القصة التاريخية والقصة التمثيلية ونلتقي مع محمد قطب في تقسيمه إذ يقول أن القرآن استخدم «في أغراضه الدينية البحتة كل أنواع القصة، القصة التاريخية الواقعية المقصود بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، والقصة التي تعرض نموذجا لحالة بشرية، فيمكن أن تكون بأشخاصها الواقعية أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج، والقصة المضروبة للتمثيل والتي لا تمثل واقعا بذاتها ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة وأي عصر من العصور"[3].

2-1-القصـــــة التاريخية:

وقد جاءت على ثلاث صور أوأشكال:

أ-ما تعلق بأخبار الأنبياء السابقين وأحوالهم وأحوال المكذبين بالرسالات وما لحقهم من الهلاك[4].

ويمكننا أن نشير في هذا المقام على سبيل المثال لا على سبيل الحصر إلى قصة نوح مع ابنه وقصة إبراهيم مع أبيه.

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ

---

[1]-أنظر منهج القصة في القرآن،محمد شديد(ص 42-49)شركة عكاظ- السعودية ط1(1404 هـ 1984م)

[2]-أنظر فن القصص في القرآن،أحمد خلف الله مكتبة لان جلو المصرية(ص 171)القاهرة ، ط 3 1965م ص 171

[3]-محمد قطب،منهج الفن الإسلامي دار الشروق بيروت- ط8 : (1413هـ-1993م) ص 157

[4]-ابن هشام السيرة النبوية (2 /98-99) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر، دت،

رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [1].

إن هاته الآيات تصور أحد المواقف التاريخية التي حدثت في زمن نوح، إذ تصور لنا الحوار الذي دار بين سيدنا نوح وابنه بعد أن فرغ الأب من استكمال بناء السفينة (وأراد أن ينجي ابنه معه) وهنا تتحرك عاطفة الأبوة وملؤها الشفقة والرحمة على ابن عاق طالبا منه الركوب وناصحا إياه بعدم البقاء مع الكافرين .

أما النموذج الثاني فيكمن في قصة يوسف التي تناولها القرآن الكريم في سورة واحدة وسماها باسمه ففي هاته القصة مجموعة أحداث تبدأ من طفولته بالرؤيا التي رآها حتى تحقق تلك الرؤية، ولعلنا في هذا المقام نحاول أن نسلط الضوء بعض الشيء على جزء من الجوانب المهمة كما تناولها القرآن وتناولتها التوراة لعلنا نقف على مدى واقعية القصة وأحداثها.

في سورة يوسف يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[2].

، في التوراة "ورأى أيضا حلما آخر فقصه على أخوته فقال رأيت حلما آخر رأيت الشمس والقمر وإحدى عشر كوكبا ساجدة لي[3] فانطلاقا من الآية القرآنية ومما ورد في التوراة حول رؤية سيدنا يوسف عليه السلام يتبين لنا مدى صحة هذا الحدث في حياته عليه السلام، وإن كان القرآن الكريم وحده كافيا للتدليل على ذلك إلا أنني آثرت أن أستشهد أيضا بما ورد في التوراة حتى يقتنع بالحدث كل من المؤمن والكافر على حد سواء فقط وليس لغاية أخرى.

ب- ما تعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم : كالغزوات والهجرة والإسراء وغيرها ونتناول في هذا المقام حدثين مهمين في حياته صلى الله عليه وسلم كما تناولهما القرآن وتناولتهما كتب السيرة

1- الهجرة من مكة والوصول إلى المدينة وحديث غار ثور.

قال ابن هشام: "قال ابن إسحاق فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار ثور جبل بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما

---

[1]-سورة هـــــود: 43-44.

[2]-سورة يوسف: 4.

[3]-الكتاب المقدس.نقلا عن مالك بن نبي الظاهرة القرآنية (ص212)ترجمة عبد الصبور شهين'دار الفكر الجزائر د،ت

يكون في ذلك اليوم من الخير..... وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ؟ يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم، وإذا كانت كتب السيرة قد عالجت الأحداث من خارجها :تآمر الكفار وإقدامهم على محاولة قتله،وما حدث ساعة خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من أخذ الله لأبصارهم عنه ثم انشغالهم بالبحث عنه ورصدهم الجوائز لمن يأتيهم به، فان القرآن الكريم يعطي للأحداث مذاقا آخر فيه استخلاص حكمة الحدث كله والدلالة على مواقع الاعتبار فيه وبيان أن هذا النبي الداعي إلى الحق منصور بإذن الله وتأييده سواء استجاب له الناس أو قاوموه ، ولذا يأتي مطلع الآية التي تتحدث عن ليلة الهجرة لتؤكد هذا المعنى[1] والآية التي تتكلم عن هذا قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [2].

وقوله " إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ "أي إن تركتم نصرته فالله متكفل به،فقد نصره في مواطن القلة،وأظهره على عدوه ذي الغلبة والقهر أو فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كفروا له حال كونه "ثاني اثنين"أي أحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق"[3]

2-في ذكره لغزوة بدر:

كان المسلمون في غزوة بدر بالعدوة القريبة من المدينة، وكان المشركون قد نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي وكانت العير التي خرج المسلمون لأخذها مما يلي الفريقين من ناحية الساحل[4]

والقرآن الكريم يصور هذا الموقف التاريخي بأداء فني رائع بقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ

---

[1] عبد الصبور مرزوق،السيرة النبوية في القرآن الكريم (ص127) مكتبة رحاب-الجزائر د،ت

[2] -سورة التوبة: 40.

[3] -الشوكاني،محمد بن علي بن محمد، فتح القدير (2/ 463) ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية – بيروت ط1، دت.

[4] -أنظر ابن هشام،السيرة النبوية (259/2) ، عبد الصبور مرزوق السيرة النبوية والقرآن الكريم (ص177)

مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [1]

والدنيا تأنيث الأدنى، والقصوى تأنيث الأقصى ،من دنا يدنو،وقصا يقصو ويقال القصيا، والأصل الواو، وهي لغة الحجاز، والعدوة الدنيا كانت مما يلي المدينة، والقصوى كانت مما يلي مكة[2]

جـــ**ما تعلق بأشخاص لم تثبت نبوتهم وحوادث غابرة:** ويدخل في هذا المقام قصة كل من ابني آدم وأصحاب الكهف وغيرهما.

أ -قصة ابني آدم:

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [3]

فهنا "يقول تعالى مبينا وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم-لصلبه في قول الجمهور- وهما قابيل و هابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله،بغيا عليه وحسدا له،فيما وهبه الله من النعمة، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين فقال تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [4] أي اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم،وقوله بالحق أي على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب،ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان"[5] كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[6] .

---

[1]-سورة الأنفال: 42

[2]-الشوكاني،فتح القدير(397/2)

[3]-المائدة (27-31)

[4]-سورة المائدة: 27.

[5]-ابن كثير،تفسير بن كثير(242/2) دار الاندلس بيروت ،د.ت

[6]-سورة آل عمران: 62.

2-قصة أصحاب الكهف:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا .ذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا .ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى .وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا . هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا .وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا. وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا . إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا .وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾

وملخص هذه القصة هو أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا الناس على عبادتها أيضا وكان من بينهم فتية الذين أبوا إلا أن يثبتوا على الدين، فنزع الملك ثيابهم وجلدهم وتوعدهم، ولكنه أمهلهم حتى يرجعوا إلى رشدهم، وانطلق الملك إلى مدن أخرى ليأمرهم بعبادة الأصنام أو ليقتلوا ،وانطلق الفتية إلى كهف قريب وأخذوا يعبدون الله فيه حتى إذا هجم عليهم الملك وقتلهم ماتوا طائعين عابدين، وقد كانوا سبعة فلما مروا في الطريق إلى الكهف تبعهم راع ومعه كلبه، وعند سماع الملك بهم توجه إلى الكهف وسده عليهم ليموتوا، وبعد مدة طويلة من الزمن استيقظ أصحاب الكهف ...[1]

وهذه القصة يجعلها التاريخ دليلا على البعث وقد أوردها القرآن الكريم لتكون عبرة للمؤمنين فيزجروا أنفسهم ويهتدوا إلى الطريق الحق،وهي ليست وحدها الدليل على البعث، بل إن القرآن الكريم قد

---

[1] انظر:الشيخ طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم(126/9) دار الفكر د.ت

حوى من المعاني والآيات ما فيه عبرة لأولي الألباب بأن مرد الإنسان ومآله مرهون بيوم المعاد .

2-2-القصة التمثيلية:

وهي مجموع القصص التي تناولها القرآن وتساق مساق التمثيل لا على مساق الإخبار كالقصة ،"فالأمثال لا يشترط صحتها على أنها واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط فقط إمكان صحتها، أي وقوعها حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلا ، فمن أجل ذلك يمكن الربط بين المثال والمعنى الممثل له حيث يلبس نسيجا ماديا محسوسا يتصوره الذهن ويألفه الخيال ولكن الأمثال لا يشترط أيضا عدم صحتها في نطاق الواقع التاريخي، فربما ضرب المثل بقصة واقعة وفي القرآن من ذلك كثير" [1] .

ومن أمثلتها في القرآن قصة صاحب الجنتين .

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا .لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا .فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا .أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا .وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ [2].

فهاته الأحداث ذكرها الله سبحانه وتعالى بعد أن أبرز الحق قائلا : "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ " ، وبين" لهم ما أعد لأهل الشرك وذكر ما يقابله مما أعده للذين آمنوا ، ضرب مثلا لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن وإهانته للكافر، فكان لذلك المثل شبه بمثل قصة أصحاب الكهف من عصر أقرب لعلم المخاطبين من عصر أهل الكهف، فضرب مثلا للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبا مونقا وحال الآخر خلاف ذلك، فكانت عاقبة صاحب الحال المونقة تبابا وخسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحا، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الازدراء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير

---

(1) -السيوطي،من روائع القرآن، (ص181) مكتبة الفارابي ، سوريا ، د.ت.

(2)-سورة الكهف: 32 - 36

والتدبر في العواقب فيكون معرضا للصلاح والنجاح[1]

3-أغـــــراض القصة القرآنية:

إن التساؤل عن أغراض القصة الأدبية وما تفيده لمن الأمور التي يسهل الإجابة عنها، كون مصدر القصة ومنشئها وقارئها من جنس واحد، بل أكثر من ذلك، إن العفوية تتدخل لتصرح بالأغراض الحقيقية لذلك، ولعل أبسط إجابة هو أن القصة الأدبية إن لم تخلق لمعالجة قضية ما، فهي قد تخلق للإمتاع والمؤانسة ،كون النفس البشرية ميالة لهذا الأمر، بل وترغب فيه إلى الحد الذي جعل العرب يعرفون هذا النوع ويتفننون فيه أيما تفنن .

أما لو تعلق تساؤلنا بأغراض القصة القرآنية فإن الأمر هنا ليس كسابقه، إنه يتطلب دقة في التركيز، وعمقا في التحليل، يسيران جنبا إلى جنب مع قراءة واعية متمعنة، ومرد هذا كله إلى أن خالق القصة القرآنية ومنشئها هو خالق الإنسان ذاته .

وانطلاقا من هذا كان حريا على أي عاقل أن يسلم بسمو غايات القصة القرآنية وشرفها دون محاولة لمقارنتها بالقصة الأدبية،لأن مقارنتها بها هو إنقاص من قيمتها ومحاولة لتحطيم شرفها،إذا فالقصة القرآنية ليست هدفا في ذاتها، بل إنها لا تعدوأن تكون أحد الوسائل التي استعملها الله تعالى وحفل بها كتابه.

وعلى هذا الأساس كان لزاما علينا أن نقر بأن غاية القصة القرآنية هو تحقيق الهدف الأسمى الذي أراده الله تعالى من خلال القرآن العظيم، "وهو الدعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير، وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير والميل بها عن مسارب الضلال والبوار، فليس في القصص القرآني ما في غيره من القصص من تلك المواقف والصور التي يراد منها استثارة العواطف المريضة، و استرضاء الميول المنحرفة في الإنسان وتملقه بها، واقتياده منها وإنما القصص القرآني حرب على هذه العواطف المريضة وتلك الميول المنحرفة، فيلقاها في حزم وسيم، ويترل أصحابها منازل البوار والهوان في كل موقف يلقاهم فيه، ذلك لأنه كما وصفه الله سبحانه وتعالى " إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ " وما كان للحق أن يلبس الباطل أو يسلك مسالكه"[2] ولا غرو إن اشتملت القصة القرآنية على غايات فرعية إلى جانب تلك الغاية العليا والهدف الأسمى. واستقراء لبعض النصوص القرآنية نجدها تشير علينا ببعض الأهداف يمكننا أن نجملها في النقاط الآتية :

---

[1]-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير (315/15) الدار الفرنسية للنشر- تونس 1984

[2] -عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه(ص12) دار المعرفة- بيروت دت

3-1-إثبات الوحي الإلهي والرسالة النبوية لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا بامتياز، وأميته هاته منعته من الإطلاع على ما كتبه الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى، كونه لا يستطيع أن يفك كلمة عن أختها، كما أنه" لم يقصد إلى أحد من علماء اليهودية أو النصرانية، يسمع منهم أخبار عيسى وموسى وغيرهما من الأنبياء السابقين عليهم صلوات الله وسلامه، ولو فعل ذلك لما كتمه عن الناس ولاموه عليه، كيف وقد عرف بين قومه طوال أربعين سنة من العمر بالأمانة والصدق والوفاء مع الناس"[1].

"فلما جاء القرآن بقصص الأنبياء السابقين والأمم الغابرة على نحو يتفق جملة وتفصيلا مع ما أثبتته التوراة والإنجيل من عرض تلك الأخبار والقصص كان ذلك دليلا لا يقبل الشك بأن هذا القرآن ما كان حديثا يفترى ولكنه وحي من الله عز وجل"[2].

ولهذا فإن القرآن ينبه إلى هاته الغاية ،ويشير إليها في العديد من المواضع، خاصة بعد ذكر قصص الأنبياء والسابقين ،وغرضه في هذا جذب انتباه القارئين أو المستمعين لهذا القرآن،فيروا فيه من الأشياء التي لا يمكن إلا لجهابذة التاريخ أن يعرفوها، وأن يتزلوها منازلها، تخرج من فم رجل لم يعرف في تاريخه أصلا الكتابة ولا القراءة، فلعلهم يؤمنون بأن مصدر الكلام هذا ليس من البشر ذاته وإنما هو وحي يوحى.

والقرآن الكريم عندما انتهى من ذكر قصة يوسف، أشار في الأخير إلى أن ذلك وحي يوحى كون النبي صلى الله عليه وسلم لم يجالس إخوة يوسف أثناء اجتماعهم للكيد لأخيهم، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[3]. "وهم بنوا يعقوب إذ يمكرون بيوسف ... وما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الجب وهم يمكرون بيوسف"[4].

"وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه أنزل عليه هذا القرآن وفصل له هذه القصة مع أنه لم يكن حاضرا لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به

---

[1]-السيوطي ، من روائع القرآن (ص191) مكتبة الفارابي سوريا د . ت .

[2]-مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية . (ص 194)

[3]-سورة يوسف: 102

[4]-الشوكـــــاني محمد بن علي محمد ، فتح القدير (3 /94)

وجعلوه في غيابة الجب ، فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه"[1].

كذلك قوله تعالى بعد ذكر قصة مريم ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [2] أي "ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى، بل أطلعك الله على ذلك لأنه كان حاضرا وشاهدا لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها وذلك برغبتهم في الأجر"[3].

وهذا الحدث كسابقه ذكر بعدم حضور النبي اجتماعهم، ولعلنا من استقراء هاتين الآيتين وما انطوتا عليه من إثبات الوحي وذكر لحدث من أحداث القصة المرتبطة به نستشف العديد من الدلالات قد يكون في مقدمتها الأساس الذي اختاره الله تعالى للحدث الذي يربطه بالوحي، وهنا في هذا المقام يمكنني أن أقول بأن الأساس هو اختيار أهم حدث في حياة النبي أو الشخص،أو ما يعبر عنه في الأدب الحديث بالعقدة في القصة، فربط الله عز وجل إثبات الوحي في قصة يوسف بالمكيدة التي دبرها له إخوته كون هاته الأخيرة هي المنعطف الخطير في قصة يوسف إذ لو أجمعوا على قتله وكان لهم ذلك لانتهت القصة وانتهى معها الحديث عن يوسف وما أتى به .

والشأن نفسه في قصة مريم، فقد ربط الوحي وأثبته بإلقاء الأقلام لأجل كفالتها،ولعل هذا الأمر أهم حدث في هاته القصة أيضا،إذ كانت الكفالة لزكرياء نبي الله ولو كانت لغيره لكانت مجريات الأحداث على شاكلة أخرى.

كما قد يبدو أن الأساس هو بداية حياة النبي أو الشخص ،غير أنني أعتقد أنه لو كان كذلك لربط قصة موسى بالمرحلة التي ولد فيها،إذ كانت أصعب مرحلة في حياته، إلا أنها ليست أهمها،بل قد ربطها الوحي بأشياء أخرى فقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [4] فالغربي هو الجبل والأمر هو الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضرا هناك وأما قوله ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة

---

[1]-الشنقيطي . محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، أضوء البيان(73/3) – إدارة البحوث العلمية – الرياض (1403 - 1983)

[2]-سورة آل عمران:44.

[3]-إسماعيل ابن كثير القرشي ، تفسيرابن كثير(38/2)

[4]-سورة القصص: 44-46

سنة وبعضهم يقول ستمائة سنة"[1]. هذا بالإضافة إلى العديد من الآيات التي جرت على نفس السياق ومنها:

﴿ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [2].

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [3].

"فهذه الآيات من أوضح الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم رسول كريم، وإن كانت المعجزات الباهرات الدالة على ذلك أكثر من الحصر"[4].

3-2-العبرة والموعظة:

ويبدو هذا الغرض جليا في القرآن الكريم من خلال أحد المظهرين:

"بيان مدى قدرة الله تعالى وبالغ جبروته وسطوته، والكشف عما حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك بتجبرها وعنادها واستكبارها على الحق للتنبيه على أن مثل ذلك يوشك أن يقع بمن أبى إلا أن يمشي على دربهم متبعا خطاهم"[5].

ويتضح لنا هذا من خلال تلك السور الكثيرة التي تعرض للأنبياء السابقين وما قابلهم أقوامهم به، فكان لكل منهم عقاب، تفاوت بحسب درجة التكذيب والعناد والغدر بالنبي، ومن تلك السور سورة الشعراء والأعراف وهود والقمر وسنقف هنا على سورتين لنحاول جاهدين توضيح هاته النقطة .

ففي سورة الشعراء ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [6]، خاتمة لكل الأقوام الذين كذبوا رسلهم وأبوا إلا المواجهة فكان الهلاك جزاءهم في الدنيا ،والعقاب ثوابهم في الآخرة، فقوم موسى أغرقهم في البحر، وكان ذلك "آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على قدرته، لأن أحدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته من حيث وقع ما كان مصلحة في الدين

---

[1]-أنظر هود بن محكم الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز(288/3) تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان ط 1 (1990)

[2]-سورة ص: 70.

[3] -سورة هود: 49.

[4]-الشنقيطي ، أضواء البيان (73/3)

[5]-اليوطي ، من روائع القرآن (ص192-193)

[6]-سورة الشعراء: 67 – 68.

والدنيا، وعلى صدق موسى عليه من حيث كان معجزة له، وعلى اعتبار المغترين به أبدا فيصير تحذيرا من الإقدام على مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ويكون فيه اعتبار لمحمد صلى الله عليه وسلم"[1].

كما أن الآية السالفة الذكر قد رددت سبع مرات وأتت كل واحدة منها لتعبر بوضوح عما كابده الأنبياء السابقون والمؤمنون بهم من ويلات العذاب والإخراج من الديار فيعتبروا ، ويدركوا أن ما يحيق بهم هو سنة من قبلهم، فيتعظوا، ويثبتوا على دينهم، فسيدنا إبراهيم مثلا قد أرادوا حرقه ، إلا أن الله عز وجل منعهم من ذلك بأن غير الغاية الحقيقية للنار إلى الغاية المعاكسة فبدل الإحراق أصبحت بردا وسلاما على إبراهيم، فالله لم ينف الفعل وإنما نفى نتائج الفعل،وفي ذلك معجزة خارقة و آية لكل من كان له ذرة إيمان في قلبه على أن " في محاجة إبراهيم لقومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد لآية أي دلالة واضحة جلية على أن لا إله إلا الله"[2].

أما في سورة القمر فإنه على نفس الشاكلة الأولى يردد الآية التي تحث على الاعتبار واتخاذ المواعظ بعد ذكر كل قصة من قصص الأنبياء وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[3]، (لفظ مدكر أصله مذتكر من الذكر الذي هو ضد النسيان ، فأبدلت التاء دالا مهملة وكذا الذال المعجمة ثم أدغمت فيها ومنه قوله تعالى : "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ"[4] أي وتذكر بعد نسيان)[5]والمعنى" هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها ؟ فيترك المعصية ويختار الطاعة"[6]، وعندما ينتهي من ذكر تلك القصص يخاطب الناس قائلا :

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ. أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[7]، "وفي هذا تنبيههم لئلا يأمنوا العذاب فإنهم ليسوا بخير من أولئك الذين أهلكوا"[8].

وهذان النموذجان من سورة الشعراء والقمر كفيلان بتوضيح غرض من أغراض القصة القرآنية،

---

(1)-الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي (141/24)

(2)-ابن كثير،تفسيرابن كثير (192/5)

(3)-سورة القمر: 15

(4)-سورة القصص.

(5)-طنطاوي ، التفسير الوسيط (133/27) وأنظر القنوجي أبو الطيب صديق بن الحسن بن علي السين (1307) فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية – صيدا بيروت لبنان (1412-1992)

(6)-القنوجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن (294/13)

(7)-سورة القمر:43-45.

(8)-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي ، (22/29)

كما أن الإطلاع على بقية السور وبخاصة ما تعلق منها بهذا الموقف سيجعل القارئ يتيقن أن هذا الغرض من الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها.

ونضيف في هذا المقام أيضا ما ذكر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[1]، فهذه الآيات تفصح عن نفسها مما يجعلني أستغني عن كل تعليق .

3-3-التنبيه إلى أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف[2].

إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون من أجل غاية واحدة وهي توحيده وعبادته قال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، ولهذا كان الدين الذي يدعو لهذه الغاية واحد وهو الإسلام قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[4] وقال:﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[5]، ولقد أرسل الله تعالى رسله وأنبياءه للدعوة إلى هذه الحقيقة وتأكيدها وتثبيتها في قلوب الناس حتى يكون لهم الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة.

من أجل هذا فإن الله تعالى يذكر هذه الغاية عند بداية قصة كل نبي، ويمكنني أن أوضح الأمر هذا من خلال سورة الأعراف وما حوته من قصص الأنبياء، إذ في هذه السورة يذكر الله تعالى في بداية قصة كل نبي الغرض الذي أرسل لأجله فيقول:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[6].

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[7].

---

[1]-سورة هود: 100 – 103.

[2]-البوطي ، من روائع القرآن (ص 193)

[3]-سورة الذاريات: 56.

[4]-سورة آل عمران: 19.

[5]-سورة البقرة: 132.

[6]-سورة الأعراف: 59.

[7]-سورة الأعراف: 65.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1].

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

فهذه الآيات وغيرها المتناثرة في ثنايا القرآن الكريم تأكد أن دين الله واحد،وأن جميع الرسالات أتت لتؤكد هذا المعنى،وتدلل عليه بمعجزات تنوعت بحسب القوم الذين أرسل إليهم ذلك الرسول .

3-4-تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم وتسليته في مجال الدعوة:

"وحمله على الصبر على ما قد يراه من أذى قومه له ، وبيان أن الله عز وجل ينصر رسله مهما نزل بهم من العذاب وطاف حولهم من البلاء "[3]، وبيان هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قاسى أنواعا شتى من العذاب في حين لم تؤمن به إلا ثلة قليلة أصابها ما أصابه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين له أن هذا الأمر طبيعي كون الرسل والأنبياء السابقين قد أصيبوا بمثل ما أصيب.

وهذا بعد ذكر قصة موسى في سورة الشعراء،يقر الله تعالى بأنه رغم ما آتاهم من الآيات وما أسداه عليهم من النعم إلا أنهم لم يؤمنوا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[4]، وفي هذا " تسلية له فقد كان يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه،فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على أن له أسوة بموسى وغيره ، فإن الذي ظهر على موسى من هذه المعجزات العظام التي تبهر العقول لم يمنع من أن أكثرهم كذبوا وكفروا به مع مشاهدتهم لما شاهدوه في البحر وغيره فكذلك أنت يا محمد لا تعجب من تكذيب أكثرهم لك واصبر على إيذائهم فلعلهم أن يصلحوا ويكون في هذا الصبر تأكيد الحجة عليهم"[5].

كما أن "ذكر أخبار الأنبياء من قبله وما كابدوه من إيذاء قومهم ثم نصر الله عز وجل لهم ما يدعوه إلى التحمل والصبر ويبث في قلبه روحا من الطمأنينة والنشاط"[6].

---

[1]-سورة الأعراف: 73.

[2]-سورة الأعراف: 85.

[3]-البوطي، من روائع القرآن (ص 194)

[4]-سورة الشعراء: 67.

[5]-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي (141/24)

[6]-البوطي، من روائع القرآن ، (ص194)

وإذا كانت الآية السالفة الذكر تلمح للنبي صلى الله عليه وسلم بضرورة الصبر فإن هناك آيات أخرى تصرح له بذلك مباشرة اوهي مقرونة في الوقت ذاته بذكر نبي أو رسول ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[1] وأولوا العزم هم أولوا الجد والثبات والصبر والمراد بهم ما ذكر في سورة الأحزاب[2] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾[3]

وقوله تعالى أيضا: ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[4]، بأن اتبع أمره بالصبر وبالإتساء ببعض الأنبياء السابقين فيما لقوه من الناس ثم كانت لهم عاقبة النصر وكشف الكرب ... وابتدأ بذكر داوود لأن الله أعطاه ملكا وسلطانا لم يكن لآبائه ففي ذكره إيماء إلى أن شأن محمد صلى الله عليه وسلم سيصير إلى العزة والسلطان ولم يكن له سلف ولا جند فقد كان حال النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بحال داوود عليه السلام[5].

وينبغي علي أن أشير في نهاية هذا المبحث أن الغرض من القصة هو تحقيق الهدف الأسمى الذي نزل به القرآن وهو هدف واحد ووحيد ، وما ذكرناه من الأغراض الفرعية يبقى متعددا، " ضف إلى هذا" إن الأغراض الفرعية للقصة القرآنية كثيرة ومتعددة وهذه الكثرة وهذا التعدد لا يعنيان استحواذ كل قصة على غرض واحد بل يمكن أن تأتي كلها مشتملة في قصة واحدة"[6].

---

(1)-سورة الأحقاف: 35.

(2)-النسفي ، تفسير النسفي،دار الفكر(148/4) وانظر الشوكاني،فتح القدير(32/5-33)

(3)-الأحزاب 7

(4)-سورة ص:17.

(5)-الطاهر بن عاشور،تفسير، التحرير والتنوير (226/23).

(6)-أنظر البوطي ، من روائع القرآن (ص 193) .

4-بنـــاء القصة القرآنية :

أقصد بالبناء الجوانب الفنية التي ينبغي أن تحتوي عليها أية قصة،وكلمة ينبغي مقصورة على القصة الأدبية الإنسانية لأن الأديب لا يستطيع أن يخرج عن النواميس الفنية التي وضعها أهل الاختصاص وأن قيمة عمله مقرونة بمدى التزامه بها،أما القصة القرآنية فان لها الإرادة التامة والحرية المطلقة في اختيار ما تشاء من تلك الجوانب لأن الأغراض التي ترمي إليها ليست هي ذاتها في القصة الأدبية.

ولهذا فان القصة القرآنية قد انتقت من تلك الجوانب ما يتماشى والأغراض التي رسمتها. فلا غرو إذا إن طغى جانب على آخر أو همش جانب و لم يذكر مطلقا .

ومن هذا المنطلق فإنني سأعرج على تلك الجوانب معتمدا على بعض ما هو موجود منها في القرآن الكريم.

4-1-الحـــدث:

الحدث في اللغة هو وقوع شيء لم يكن، حدث أمر:أي وقع[1].

أما في الاصطلاح النقدي فيعني تركيب الأفعال أي تسلسلها وترابطها[2] كما يعني" التركيبة والإنشاء الذي يظهر في التكوين الفني في شكل تصرف أو سلسلة من التصرفات تقوم بها الشخصيات"[3].

أما القرآن الكريم فإنه يعطي لمعنى الحدث أبعادا أعمق بكثير مما قدمه النقاد إذ هو يتجاوز حدود الأفعال ليدخل عالم المشاعر والأحاسيس، وينبغي أن أشير هنا إلى أن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة حدث بحروفها الثلاثة مطلقا وإنما استعمل اشتقاقاتها في أربعة مواضع.ومنها قوله تعالى: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[4] والأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها،ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها. ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه، فيراجعها[5].

ومن هنا فإن الحدث في القرآن الكريم يعني مجموع الوقائع المادية والنفسية التي تتخلل قضية

---

[1]-ابن منظور ،لسان العرب ، مادة حَدَثَ، (796/1)

[2]-أحمد كمال زكي-دراسات في النقد الأدبي (ص121) الشركة المصرية-مصر، ط1:1997

[3]-كمال عيد ، فلسفة الأدب والفن (ص121)، دار الأندلس، ط2، 1979.

[4]-سورة الطلاق: 2.

[5]-القرطبي:أبو عبد الله محمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن د،م،ث (156/18) وانظر : الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي،(33/30).

ما.وتشكل تلك الوقائع وتفاعلها معا يبرز المظهر الحقيقي لطبيعة الحدث، أما التسلسل و الترابط فيمكن للقرآن أن يستغني عنهما كونهما لا يشكلان وحدة أساسية في بناء القصة القرآنية .

أما عن طبيعة الأحداث في القصص القرآني فإنها تنقسم إلى قسمين:

أ-"**واقع مألوف اعتاد الناس مثلها ودرجوا على رؤية صنوفها، تصير إلى أخرى غير مألوفة، تخرق الناموس وتجري على غير سنن وتجعل من تصيبهم أحاديث وعبرا**"[1].

وتطل علينا في هذا الشأن أول حادثة في تاريخ الإنسانية وهي ما حصل بين ابني آدم قابيل وهابيل والنهاية المأساوية لأحدهما.

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[2].

فقد جرت أحداث هاته القصة في بداياتها بصورة مألوفة "فآدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى وإن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل؛وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فأراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانا،وذهب آدم ليحج إلى مكة ...فلما ذهب قربا قربانهما،فقرب هابيل جدعة سمينة وكان صاحب غنم،وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه،فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب "[3].

إن مجريات الأحداث إلى هذا الحد تبدو مألوفة وتصرفات الأخوين معهودة ومقبولة، أما ما أتى بعد ذلك فإنه تعدى المعقول ليتجاوزه إلى أشياء لم يعهدها العقل،ولا أدل على ذلك من كون أن القدرة الإلهية هي التي تدخلت لتنقذ الموقف،وتفسير هذا هو:

إن قابيل توعد أخاه هابيل بالقتل حسدا له على تقبل الله منه، وفعلا فقد نفذ وعده بأن قضى على آخر حركاته فطرحه أرضا بعد "ضربه بحديدة وقيل بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته وقيل بل

---

(1)-طول محمد،البنية السردية في القرآن (ص15)، ديوان المطبوعات الجامعية - بن عكنون الجزائر، دت.

(2)-سورة المائدة 27 - 31.

(3)-ابن كثير (774)البداية والنهاية(93/1) دار الفكر،بيروت لبنان (1402هـ-1982م).

خنقه خنقا شديدا وعضا كما تفعل السباع فمات"[1] فهذه أول جريمة ارتكبت على وجه الأرض ودم هابيل أول دم سفح وروحه أول روح أزهقت ، وكان لزاما على قابيل أن يتعامل مع جثة أخيه الهامدة ولكن هذا الأمر فوق طاقته وأبعد من تصوره حتى يتمكن من ستر أخيه. وأمام هذا الموقف تتدخل الرعاية الربانية بأن بعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه.

إن هاذين الحدثين – قتل هابيل ومواراته التراب- قد كانا أول فعلين في هذا الوجود لعب فيهما قابيل دور البطل وأداه بامتياز. وإن كانا في عصرنا الحالي مألوفين لكثرة الجرائم وتعددها فإن في ذلك العصر لم تكن كذلك " فهابيل" أول ميت من بني آدم ولذا جهل سنة المواراة[2].

كما يمكننا أن نستشف هذا النوع من الأحداث في العديد من القصص كقصة نوح وإبراهيم وغيرهما[3].

ب-"أعمال تبدأ برؤية، ثم تجري على وتيرة من صنف ما جرت عليه الأولى وقد تصل إلى غايتها بتحقق الرؤيا حيث تتوافر العبرة ويصل الشك في النبي إلى مستقر من اليقين"[4].

إن هذه هي الصورة الثانية التي تشكل منها الحدث في القرآن الكريم ، إذ نقطة البداية رؤيا في المنام تتوالى الأحداث بعدها لتصل إلى نهايتها بتحققها ، ولعل أبرز نموذج لهذا هو قصة يوسف.

"تبدأ قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم بالرؤيا[5]التي رآها قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[6] فقصها على أبيه وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فقال له أبوه: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[7] ثم عبّر له رؤياه فقال: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ ، وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب: أكتمي ما قال يوسف ولا تخبري

---

(1)-ابن كثير،البداية والنهاية (ص93)

(2)-الثعالبي : سيدي عبد الرحمان: الجواهر الحسان في تفسير القرآن(546/1)، تحقيق د .عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر د.ت

(3)-للتعمق في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: ابن كثير: البداية والنهاية، الطبري: الكامل في التاريخ

(4)-طول محمد: البنية السردية في القصص القرآني، (ص 15).

(5)-الرؤيا التي هي مصدر رأي الحلمية الدالة على ما وقع بالإنسان في نومه، أما رأى البصرية فيقال في مصدرها الرؤية محمد السيد طنطاوي: التفسير الوسيط. (27/12) .

(6)-سورة يوسف: 4.

(7)-سورة يوسف: 5.

أولادك قالت: نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعي أخبرهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا: ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا، إن ابن راحيل يريد أن يتملك علينا ويقول أنا سيدكم ، وتآمروا بينهم أن يفرقوا بينه وبين أبيه"[1].

إن هذه الرؤيا كانت "بؤرة لإثارة المشاعر المتعارضة، إذ زادت من حب يعقوب ليوسف، عليهما السلام،وهذا بدوره أشعل نار الغيرة وأثار حفيظة الحسد في أنفس إخوة يوسف ، الأمر الذي ترتب عليه التخطيط للمكيدة"[2] ولقد تسارعت أحداث القصة بوتيرة متناهية السرعة فكان أن كابد سيدنا يوسف آلاما شتى تراوحت بين الآلام النفسية كما حدث له مع فضيحة امرأة العزيز و الآلام الجسدية من خلال السنوات التي قضاها في السجن لتصل القصة في الأخير إلى النقطة التي بدأت منها وهي تحقق الرؤيا ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [3].

" وفي مساق الرؤيا هذه وقعت رؤى ثلاث ألمحت بتحققها إلى دفع الأحداث لكي تحقق الرؤيا المحورية إذ نجد رؤيتي الفتيين الذين أولجا السجن مع يوسف ... وتحقق رؤيا الملك كذلك بالكيفية التي أولاها يوسف حين لجأ إليه الملك"[4]، " وهكذا وجدنا الأحداث تسير وفق ما خططت الرؤيا، حتى إذا تحققت ، انتهت القصة"[5]، " وبذلك التحقق تظهر فعالية هذا الأسلوب المعجز المغيب الذي ساق به السرد القصصي القرآني الأحداث من رؤيا ثم أحداث ثم تحقق الرؤيا"[6].

4-2-الزمن:

لغة: اسم لقليل الوقت وكثيره وفي المحكم : الزمن والزمان العصر والجمع أزمن وأزمان[7].

اصطلاحا: "الزمن بوصفه ظاهرة كونية تمارس تأثيرها الفعال، بهذا الحضور الحسي الدائم، غير

---

[1]-ابن الأثير: الكامل في التاريخ(1/68-69) دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان ط 5 :(1405هـ-1985م)

[2]-خالد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية،(ص149) دار الشهاب- باتنة الجزائر،د.ت

[3]-سورة يوسف: 100.

[4]-محمد طول، البنية السردية في القصة القرآنية (ص 31)

[5]-المرجع نفسه، ص 31.

[6]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن (ص115)

[7]-ابن منظور، لسان العرب، مادة: زَمَنَ (1867/3).

المرئي هو هذا المعطى الوجودي ، الجوهري الذي تكتسب به وفي كنفه الموجودات هويتها، ووظيفتها، أي تحيزها المادي الفعال في محيطها ومع ذاتها، ضمن سيرورة كلية تحكم المادة في شتى مظاهرها وتنساب بها في فضاء طردي منتظم"[1].

إن التعريف هذا يتجاوز حدود الزمن المألوفة ليصل به إلى الحد الذي يجعله شيئا وجوديا ضمن هذا الكون وجوهريا في الآن ذاته، كون الأشياء لا يمكنها أن تعرف كنهها أو تؤدي وظيفتها إلا فيه، ولعل هذا التعريف يشوبه بعض الغموض كونه يميل إلى الفلسفة أكثر من أي شيء آخر، وهو ما يضطرني لمحاولة بناء تعريف يتوافق والرؤية التي يحملها موضوع الدراسة.

فالزمن هو الفضاء المعنوي الذي يرافق الحدث قبل وأثناء وبعد وقوعه، إذاً فالزمن هو الكل والحدث هو الجزء، إذ أن الحدث هو الذي يختار المسار الزمني الذي يواكبه لفترة ما ويطير معه في أجواء البحث عن وظيفته ثم ينقطع عنه بمجرد تأدية دوره.

"وإن للزمن في بناء القصة دورا يشبه ذلك الذي يلعبه اللون في اللوحة الزيتية، فهو يعطي للحدث صبغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه ، وتضفي على الجو العام له ظلالا توحي بأبعاد دلالية تسمح بها حدود التأويل"[2].

"والقصة بما هي في الأغلب سيرة نبي عاش في قومه ضمن ظروف محددة،فإنه لأمر طبيعي أن تتبلور هذه القصة من معطيات تلك الظروف وأن تنطبع أدبيتها بطوابع الزمان والبيئة بشكل أو بآخر"[3].

والقرآن الكريم لم يستعمل الزمن بصورته المألوفة وبغايته المعهودة فحسب بل أعطاه أبعادا تتعدى تلك الحدود التي وضعتها الإرادة البشرية ورسمتها لنفسها، ثم اعتمدت عليها كأساس لها في سبك أي عمل فني،مما كان له الأثر الحقيقي في تحقيق وإبراز مدى إعجاز القرآن وبعده عن الألوان الأدبية المعروفة.

ويمكنني أن أوضح هذه النقطة من خلال ما يلي :

قال تعالى: ﴿جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[4].

إن لفظ عشاء قد حمل في طياته العديد من الدلالات التي تجاوزت حدود الزمن المألوفة لترتبط

---

[1]-ديكرو وتودورو ، قاموس موسوعة علوم اللغة نقلا عن سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني(ص95)ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون الجزائر 1998

[2]-محمد طول ،البنية السردية (ص34)

[3]-سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني (ص103)

[4]-سورة يوسف: 16

بأشياء أخرى شاركت ليس في بناء الحدث القصصي فحسب ابل وفي ربطه بمضامين إعجازية أيضا، فهم قد اختاروا عشاء أي ليلا وهو ظرف يكون في موضع الحال " وإنما جاءوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل فإن الحياء في العينين"[1]، ثم إنهم " لو كانوا صادقين فيما أخبروا لسارعوا إلى أبيهم بالحدث في وقته لأن مثل هذا الحدث لا يسكت عنه لحظة "[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[3].

والمعنى: «أن يقدر لبثهم بثلاثمائة وتسع سنين،فعبر عن هذا العدد بأنه ثلاثمائة سنة وزيادة تسع ليعلم أن التقدير بالسنين القمرية المناسبة لتاريخ العرب والإسلام،مع الإشارة إلى موافقة ذلك المقدار بالسنين الشمسية التي بها تاريخ القوم الذين منهم أهل الكهف وهم أهل بلاد الروم، قال السهيلي في الروض الأنف : النصارى يعرفون حديث أهل الكهف ويؤرخون به، وأقول : واليهود الذين لقنوا قريشا السؤال عنهم يؤرخون الأشهر بحساب القمر ويؤرخون السنين بحساب الدورة الشمسية ، فالتفاوت بين أيام السنة القمرية وأيام السنة الشمسية يحصل منه سنة قمرية كاملة في كل ثلاث وثلاثين سنة شمسية، فيكون التفاوت في مائة سنة شمسية بثلاثة سنين زائدة قمرية، كذا نقله ابن عطية عن النقاش المفسر وبهذا تظهر نكتة التعبير عن التسع سنين بالإزدياد وهذا من علم القرآن وإعجازه العلمي الذي لم يكن لعموم العرب علم به"[4].

وما يمكنني أن أستشفه من الآية هو ورود كلمة " وَازْدَادُوا " فقد أمكن الخطاب القرآني أن يقول " ثلاثمائة سنين وتسعا " كما هو معروف عند أهل الحساب ويستغني عنها بيد أنه أضافها لغاية جليلة قد تكون أداة الفصل بين التاريخين الشمسي والقمري،وفي هذا تعبير بدقة متناهية عن الأخبار الغيبية وإفحام لليهود ،وقد صدق الله إذ يقول " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"[5].

4-3-المكان:

لغـــــة : المكان الموضع ، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع[6].

---

[1]-القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن (144/9)

[2]-عبد الحافظ عيد ربه ، بحوث في قصص القرآن(ص59) دار الكتاب اللبناني – بيروت ط 1(1972)

[3]-سورة الكهف: 25.

[4]-ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير(15/300..301).

[5]-سورة النساء: 83.

[6]-ابن منظور، لسان العرب، مادة مَكَنَ (4250/6)

إصطلاحا : " المكان في القرآن مادة توصيل وإيحاء ، لذلك فهو يأتي صريحا مباشرا له دلالة مرجعية إشارية كما هو حال أسماء الأمصار مثل: مصر، يثرب، سيناء ، الطور، حنين، بدر أو الأماكن المعلومة، أو التي اكتسبت علميتها من خلال إثبات السياق القرآني لها، مثل سدرة المنتهى، الكهف في قصة أصحاب الكهف أو يأتي ضمنيا وهذا اعتبارا لغائية الخطاب القرآني العامة التي تستهدف الرشاد الإنساني"[1].

وإن كنت قد عبرت عن الزمن بأنه الفضاء المعنوي الذي يرافق الحدث فإن المكان هو الفضاء المادي الذي يتعدى حدود المكان المعروفة ليتجاوزها إلى الإطار العام الذي تبنى فيه الأحداث وتسير فيه الشخصيات بل يصير إناء تجمع فيه مقومات القصة كلها .

وانطلاقا من هذا التعريف البسيط نجد أن للمكان أهمية كبرى في البناء الفني للقصة ، لكن هذه الأهمية ينقضي مفعولها وتتوقف حدودها عند الانتهاء من الكلام عن القصة الأدبية الإنسانية، أما لو تحدثنا عن القصة القرآنية فالأمر يختلف عن سابقه؛لأن القرآن الكريم قد أعطاه مقدارا معينا من الأهمية يتناسب والدلالات التي يحملها والغايات التي يؤديها ضمن النسق العام والغاية الكبرى للقصة القرآنية.

وعلى هذا الأساس فإن القرآن الكريم في تفاعله مع القصة قد اختار لبعض الأحداث ما يناسبها من المكان في بعض المواضع ليتنازل عنه في مواضع أخرى، ويمكنني أن أقف عن السر في ذلك من خلال بعض الآيات .

فقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [2].

"فقصة الإسراء من خصائصه صلى الله عليه وسلم وحده وقد انطوت على درجات الرفعة والتفضيل له لما تضمنته هذه الحادثة من كرامات كالمناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء"[3].

وعندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفية الإسراء قال: "صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتما وأتاني جبريل عليه السلام بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستعصت علي فدارها بأذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخل

---

[1]-سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني (ص147)

[2]-سورة الإسراء: 1.

[3]-أنظر أبو الفضل عياض اليحصبي (544هـ) الشفا بتعريف المصطفى(176/1) دار الكتب العلمية -بيروت ، لبنان د.ت

فأنزلني"[1].

من هذا يمكنني أن أقف على دلالة المكان الحقيقية إذ أن القرآن قد حدد مكان الإنطلاق ومكان الوصول وهذا الأمر دليل على الأهمية التي حملاها ، فالعرب كانت تقضي الأيام الطوال إذا أرادت ذلك،إلا أن المعجزة الإلهية هي التي تدخلت هنا فاقتصرت المسافة إلى الحد الذي يجعلنا غير قادرين على تحديدها،ولا أدل على ذلك من كون الوسيلة التي سافر بها النبي صلى الله عليه وسلم لها من السرعة ما جعل حافرها يقع حيث يدرك طرفها.

وكذلك قوله: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [2]، والأحقاف "جمع حقف وهو الجبل المستطيل المعوج من الرمل"[3]، ففي هذه الآية قد حدد القرآن الكريم المكان بدقة ولعل الغاية التي رسمت لذلك هو كون هذا المكان سيكون شاهدا عليهم يوم القيامة .

4-4-الشخصيات:

"الشخص جماعة شخص الإنسان وغيره كما هو سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد وكل شيء رأيت جسيماته فقد رأيت شخصه"[4].

أما في الاصطلاح النقدي فمعناه "الفاعل الذي يقوم بالفعل ويكون مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة "[5].

أما في القرآن الكريم فلم يرد مصطلح الشخصية مطلقا وإنما ورد لفظ المرء الذي معناه الرجل والإنسان ، أما اشتقاقات الكلمة فقد وردت في موضعين وهما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾[6] وقوله:﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾"[7] [8]

---

[1]-البيهقي : دلائل النبوة(108/2) تقديم وتحقيق عبد الرحمان محمد عثمان ، دار الفكر .د.ت

[2]-سورة الأحقاف: 21

[3]-عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان (212/4)

[4]-ابن منظور ، لسان العرب، مادة شخص(2211/4)

[5]-محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث(ص526) نهضة مصر للطباعة- مصر (2001)

[6]-سورة إبراهيم: 42

[7]-سورة الأنبياء: 97

[8]-محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم(ص376)) دار الفكر ط 2 (1401هـ-1981 م)

ومهما يكن من أمر، فإن الشخص في القرآن الكريم – وفق ما ورد من أمثلة لذلك – يمكننا أن نعبر عنه بأنه صانع الحدث وكلمة صانع هاته تتعدى مضمونها المألوف لتصل إلى الحد الذي تدخل ضمنها كل شيء يخلف أثرا أو يترك بصمات أثناء السرد القصصي للأحداث ، ولعل هذا التعريف عام جدا مما يجعل له القابلية في أن يحتوي جميع الفاعلين في القصة،والفاعلون هؤلاء يختلفون بين من هم ذووطبيعة إنسانية أو غيرها ، ونقصد بهذا أن قوله تعالى : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾[1].

فإن الغراب قد لعب دورا يمكننا أن نعتبره أساسيا إلى حد بعيد كونه قعد لسنة إلهية في هذا الكون وهي سنة المواراة ، ومن هنا كان لزاما علينا أن نعده فاعلا حيويا في القصة وهو بهذا المعنى يدخل فيما عنيناه بالشخصية بمفهومها العام .

ونحن في هذا المقام نكتفي بذكر الشخصية ونقتصر على الإنسانية منها بالتحديد،وهاته الأخيرة ما هي في الحقيقة إلا نتاج متآلف لبعدين اثنين لا نجد ثالثا لهما : عقليته ونفسيته وبهما يتوجه سلوك المرتبط ارتباطا تلازميا مع المفاهيم (نتاج العقلية) والميول (نتاج النفسية) فتكون بذلك مفاهيم الإنسان وميوله هي قوام شخصيته[2].

والقرآن الكريم قد تناول الشخصية بأبعادها المختلفة سواء أكانت جسمية أم عقلية ونفسية.

الصفات الجسمية: ومنها ما عبرت به النسوة عن سورة يوسف : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[3] يوسف عليه اللام كان وسيما يفيض شبابه نضارة وحيوية وجمالا و لم تر النساء فيه إلا هذه الصورة الظاهرية،غير أن هذه النظرة إليه تتبدل بعد ذلك بتبدل الرؤية الفكرية :" قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" حيث بدت صفات يوسف الجوهرية من الصدق والعفة والأمانة وغابت مظهرية السمت والجمال[4]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ فيه دلالة واضحة على ما كان يملكه موسى من قوة في الجسد استطاع بها أن يسقي غنم الفتاتين وهنا ارتبطت بالأمانة وفي حديثه عن طالوت قال

---

[1]–سورة المائدة: 31.

[2]–محمود محمد إسماعيل ، الفكر الإسلامي نقلا عن : مصطفى عليان ، بناء الشخصية في القصة القرآنية (ص9)دار البشير عمان الأردن ط 1 (1413 هـ – 1992)

[3]–سورة يوسف: 31.

[4]–مصطفى عليان، بناء الشخصية في القصة القرآنية، ص 17 – 18

وزاده بسطة في العلم والجسم فقد نوه سبحانه وتعالى بالجانب المادي في الشخصية ولكنه دائما يقرنها بجانب معنوي لأن الثاني هو الأصل والأول هو الفرع .

ولهذا "فإن القوة هي الصفة الجسدية الوحيدة التي رفع من شأنها القرآن في بناء الشخصية الإسلامية غير أنه لم يمتدحها بإطلاق بل قيدها بما يعطفها من المظهر الجسدي إلى المظهر العقلي والنفسي"[1].

الصفات العقلية والنفسية:

إن الفكر أو الإدراك أو العقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتناب الخطأ[2] والإسلام قد قوم ذلك من خلال التشريعات وهنا الشخصيات تنقسم إلى قسمين :

- شخصية الأنبياء والمؤمنين
- شخصية الكافرين .

والقرآن الكريم قد صور لنا نفسية وعقلية الأنبياء من خلال تلك المحاجات التي قاموا بها مع أقومهم ومثال ذلك أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام وترك كبيرها قال لقومه "أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[3] وهو بذلك قد أقام عليهم الحجة بصورة عقلية فقال لهم أفلا تعقلون إذ كيف يعقل أن يعبد مالا يضر وما لا ينفع ، ولهذا قال عنه تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[4].

وكذلك مع سيدنا موسى عندما سأله فرعون: "فمن ربكما يا موسى" فكان رده ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[5] وهذا الاستدلال يشير إلى أن حدوث الموجودات بأسرها واحتياجها إليه سبحانه واختلاف مراتبها والله تعالى هو القادر الحكيم الغني المنعم على الإطلاق[6]، ثم كان رد موسى على السؤال الثاني أن قال "عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى" وهذا جواب حكيم قرنه

---

(1)- مصطفى عليان، بناء الشخصية في القصص القرآني، ص 19

(2)-أبو حاتم محمد حبان البستي (354هـ) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص16) شرح وتحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية، دت.

(3)-سورة الأنبياء: 66.

(4)-سورة الأنعام: 83.

(5)-سورة طه: 50.

(6)-محمود الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(202/16) ، دار الفكر – بيروت ،لبنان 1983

موسى بنعم الله ليكون لهم الاتعاظ " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ..." وخص الله كلام داوود وسليمان: "وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا".

وقد حفل القرآن بشخصيات عديدة مثل العبد الصالح، أهل الكهف، هابيل، مريم ، امرأة فرعون، ... وسنقتصر على شخصية –مؤمن آل فرعون – كما صورها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[1] إن هاته الآية لا تحمل إلا صفة الرجولية وقد وصفه الله بذلك لأنه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى فقال له: " إن الملأ يا تمرون بك " أي يتشاورون " ليقتلوك فاخرج " أي من البلد " إني لك من الناصحين"[2] ثم يتطور السرد القصصي ليصفه الله تعالى بالمؤمن الذي يكتم إيمانه وهاته الصفة اكتسبها عند محاجاته قومه : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [3] فقوله " رَبِّيَ اللَّهُ " إيمان منه بالله وقوله " قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" إيمان بالرسالة وهذا هو الأمر الذي أرسل من أجله موسى.

كما حفل القرآن الكريم بالعديد من شخصيات الكافرين وصورها أحسن تصوير ، ومن ذلك فرعون الذي ادعى الأوهية " يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي " وملكة سبأ التي قال عنها " وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" و"وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ " .

4–5–الحوار والصراع:

لغـــة: الحوار هو الجواب والرد نقول كلمته فما رجع إليّ حَوَارًا وحِوَارًا وَمُحَاوَرَةً وحويرا ومحورة أي جوابا والمحاورة:المجاوبة والتحاور التجاوب[4].

أما الصراع:الصرع: الطرح بالأرض، صارعه فصرعه بصرعه صرعا وصرعا فهو مصروع وصريع،والجمع صرعى والمصارعة والصراع:معالجتهما الذي بهما يصرع صاحبه وفي الحديث : " مثل المؤمن كالخامة من الزرع تصرعهما الريح مرة وتعدلها أخرى أي تميلها وترميها من جانب إلى جانب"[5].

---

[1]–سورة القصص: 20.

[2]–ابن كثير، تفسيرابن كثير(270/5)

[3]–سورة غافر: 28.

[4]–أنظر ابن منظور: لسان العرب مادة حَوَرَ(1043/2)

[5]–المصدر نفسه، مادة صَرَعَ (2423/4)

ومما يتضح من المعنى اللغوي أن الصراع والحوار وإن إختلفا في النتيجة إلا أنهما يتفقان في كونهما يتطلبان شخصا محاوِرا وآخر محاوَرا وبهاته الصورة قد تتعدد الشخصيات في بناء الحدث القصصي وقد يكون شخصا واحدا وهو ما يعبر عنه بالمنولوج في القصة الحديثة .

"والصراع قائم في الحياة وهو سنة استمرارها وهو في القصة أحد عناصرها الضرورية لدفع الحدث"[1]، "والحوار لون من ألوان الصراع وتنازع البقاء ، وتلك دعائم الحياة ووسائل العمران ومظهر الوجود وإنك لترى ذلك في فيافي الأرض ومعمورها وسهلها وجبالها وبرها وبحرها على سطح الأرض"[2]، "وإذا كان عنصر الأحداث هو العنصر البارز في الأقاصيص التي يقصد منها إلى التخويف والإنذار فعنصر الأشخاص هو العنصر البارز في الأقاصيص التي يقصد منها إلى الدفاع عن الدعوة الإسلامية"[3].

ويمكننا أن نرى واقعية وفاعلية العنصر من خلال المحاورة التي دارت بين موسى وفرعون،و "قصة نوح وهود وإبراهيم وعيسى تشهد بذلك وتنتهي هذه المعارك الطاحنة بين الرسل وأممهم بنصرة الحق وأهله على الباطل وحزبه " بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ "[4] .

ومن هذا المنطلق يمكننا الآن أن نخلص إلى تعريف يحاول أن يحدد القصة القرآنية وفق تصور ينبني والأسس العامة التي بنيت عليها وهو :

القصة القرآنية أسلوب تربوي رباني نهجه القرآن الكريم لغايتين عظيمتين على الأقل،الأولى تشريعية والثانية إعجازية فأما الأولى فكون ذكر أخبار الرسل والأمم السابقة من الأمور التي تثبت قلب النبي (ص) وقلوب المؤمنين على حد سواء.وأما الثانية فكون العرب قد عرفوا هذا النوع فتحداهم في أن يأتوا بمثله سواء من حيث الأداء أوالسداد لكنهم لم يقدروا على ذلك ولهذا فهي تجمع في طياتها ما يكون تابعا لهاذين الغرضين ، فتنتقي بذلك من عناصر البناء الفني الأدبي مايتوافق وتلك الغايات.

---

[1]-محمد طول ، البنية السردية في القصة القرآنية ص 90

[2]-محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم(ص316) مطبعة المدني القاهرة (1390-1970)

[3]-عبد الحافظ عيد ربه،بحوث في قصص القرآن (ص 80)

[4]-محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، (ص 317)

الخلاصـــــــة:

إن أهـــم شـــيء يمكن استخلاصه من هذا الفصل هو أن القصة القرآنية تختلف جذريا عن القصة الأدبية، وهذا الاختلاف قد فرضته طبيعة كل منهما، ثم الغرض منهما. فإذا كانت القصة الأدبية من إبداع الإنسان وتدور رحاها بين أبناء جنسه، فإن القصة القرآنية من إبداع رب الإنسانية جمعاء، أضف إلى هذا إن القصة الأدبيةإذا كانت تُنشأ قصد الإمتاع والتشويق ببناء أحداث تتوافق وما يمكن للطبيعة الإنسانية أن تتصوره في حدود عقلها، فإن القصة القرآنية قد خلقت لأغراض أسمى من الإنسان ذاته، كشفت المباحث السابقة عنها:

ولعل أهم شيء آخر ينبغي الإقرار به من جهة والتساؤل عنه من جهة أخرى هو الكيفية التي بنيت عليـــها القصـــة القرآنية، لقد حاولنا أن نبرز أهم الفواعل التي يمكنها أن تشارك في بناء القصة كالحدث، الزمان والمكان والشخصيات، ولكن هل ستبقى هذه الفواعل وفية بحضورها الدائم في القصة القرآنية كما اعتادت على ذلك في القصة الأدبية؟

إن القصة القرآنية قد كفرت بكل ما أتت به القصة الأدبية، ووضعت لنفسها أسسا وقواعد تختلف كليا عنها، والسبب الرئيسي في هذا كله أن القصة القرآنية ذاتها لا تمتلك الحرية المطلقة في اختيار ما تشاء، فهي لا تعدو أن تكون فرعا يعمل في إطار كلي من أجل غرض رباني)وهو إبلاغ الرسالة لتحقيق العبودية لله تعالى. ولا مسوغ لكلامنا هذا ولا مبرر له، إن لم يقرن بأدلة تثبته وبأمثلة من القرآن تدعمه، هذه النقطة بـــالذات هي التي ستكون لنا الحافز الأكبر لنسقط كل ما توصلنا إليه على قصة من قصص الأنبياء لنختبر مدى صحة الحقائق التي توصلنا إليها وقد وقع الاختيار على قصة موسى.

الفصل الثاني:

التكرار في قصة موسى قبل الدعوة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-التكرار في ظروف ولادة موسى: (ذكر في خمسة مواضع)

1-1-الحدث في سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [1].

إن أول سورة ذكرت موسى هي سورة الأعلى في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [2]. وهي بهذا أول إشارة لتاريخ قصة طويلة لأحد الأنبياء،ثم يتكرر ذكره في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [3]. وهذا الموطن مثل سابقه.

ويعد ذكر موسى في هاذين السورتين تمهيدا لقصة قد يطول أمدها وتتعدد أحداثها وتتشعب العقد التي تحويها، حتى تكون بمثابة سلسلة من حلقات توزع كل حلقة منها حسب الظروف والمواقف التي تحتاج إليها الرسالة الربانية، فتعطيها بذلك المدد اللازم، وتنفخ فيها من روحها؛مما يضمن لها دوام الاستمرار على الأقل في الظروف المرسومة لذلك؛حتى تصل إلى أهدافها، إذا فالإشارة إلى موسى قبل عرض أي حدث يعد بمثابة إعطاء عنوان لفلم أو إظهارا لبطله.

أما السورة الأولى "التي تناولت ولادة موسى والظروف التي أحاطتها فهي سورة الأعراف، وإن كان في حقيقة الأمر أنها قد وردت في أكثر من ثلاثين موضعا في القرآن كله، مكية ومدنيه، ولكن ورودها مفصلا اقتصر على عشرة مواضع في عشر سور، منها ستة مواضع هي أكثرها تفصيلا، والذي ورد منها في سورة الأعراف، كان هو أول تفصيل، كما أنه هو أوسع مساحة... ويبدأ عرضها متناسقا مع جو السورة وأهدافها على طريقة القرآن في سياقه القصصي كله"[4].

إن أهم شيء يمكننا أن نستفيد منه من قول سيد قطب يكمن في نقطتين أساسيتين:

1-أنه حدّد أول سورة ذكرت قصة موسى بالتفصيل، ولكن يبدو أنه قد حددها انطلاقا من ترتيب المصحف الشريف، وتحديده هذا قد توافق كذلك مع ترتيب سور القرآن الكريم حسب النزول، ولعل توافق الصدف هذا قد يكون بمثابة انطلاقة حقيقية للكشف عن الأسرار التي تحملها هذه القصة.

---

[1]-سورة الأعراف: 141.

[2]-سورة الأعلى: 19.

[3]-سورة النجم: 36-37.

[4]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (6/9)، دار الشروق، دت.

2-إن طرحه لقضية تناسق القصة مع جو السورة وأهدافها يمثل لنا أهم ركيزة ينبغي الاعتماد عليها في طريقة العرض والتحليل، وذلك من خلال الربط بين السورة والقصة وإبراز أهم الخصائص والسمات لكليهما ثم إظهار العوامل المشتركة التي تجمع بينهما.

"فسورة الأعراف تتناول موضوع العقيدة، وتعرضه في مجال التاريخ البشري وفي هذا المدى المتطاول تعرض موكب الإيمان من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ"[1].

لهذا فقد حوت في طياتها العديد من أحداث المرسلين والذين كان من بينهم موسى عليه السلام، وعرضها لتلك الأحداث كان لغاية كبرى، وهدف جليل، وهو إبراز نهاية كل قوم اتبعوا أهواءهم وكذبوا رسلهم رغم ما أسداه الله عليهم من النعم والبركات، وكان بذلك حقا على الله نصر المؤمنين ودحض الكافرين.

ولهذا فإن ما تعلق بقصة موسى في هذه السورة كان ذكرا للمؤمنين بضرورة اتباع النبي ﷺ رغم ما لحقهم من البلاء والعذاب الذي سلطه عليهم كفار مكة ومشركوها، فذكر بأن فرعون قد أذاق قومه أسوأ ألوان العذاب، فقتل الأبناء واستحي النساء، وكان غرضه في ذلك كله الحفاظ على ملكه، وبتذكيرهم هذا يكون قد قارن وضعهم بوضع بني إسرائيل، حتى لا يكون من أمرهم سوى الإيمان بالله والتصديق برسالة نبيه.

ولعل أهم ميزة يمكننا أن نستشفها من هذا الحدث خلوه من التفصيل واعتماده على الإشارة السريعة واللمحة الخاطفة، وهذا الأمر قد كان ميزة عامة لسورة الأعراف فهي قد حوت العديد من قصص الأنبياء وعرضت لكل منهم بصورة مجملة، أو لأهم الأحداث التي تخدم هدف السورة الذي هو تثبيت العقيدة في نفوس المسلمين.

بالإضافة إلى اعتماد طريقة السرد في هذه السورة كمرجعية أساسية أولى في بناء تصور عام للحدث من خلال مقارنته بالسور الأخرى التي عرضت إليه أيضا...

1-2-في سورة طه:

لم تذكر هذه السورة شيئا يتعلق بولادة موسى والظروف التي أحاطتها إلا ما كان منها إشارة في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [2].

---

[1]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (104/8).

[2]-سورة طه، 24.

ومعنى "طَغَى" أنه قد جاوز الحد في كفره إلى ادّعاء الإلهية[1]

وأهم شيء نلاحظه على هذا الحدث هو توافقه مع سابقه، غير أنه أكثر إجمالا منه، وهذا ما يجعلنا نقر بأن ما كان في سورة الأعراف إجمال من جهة وتفصيل لإجمال أكثر منه من جهة أخرى.

1-3-في سورة القصص:

تعرض هذه السورة لقصة موسى بصورة تختلف كثيرا عما سبق، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [2]. إن هاته الآيات تعرض لظروف ولادة موسى بصورة أكثر تفصيلا من سابقتها،ولعل هذا التفصيل له ما يبرره، من خلال الأسباب التي دعت إليه أو من خلال الغايات التي رسمت له، وحتى نقف على تلك الأسباب والخفايا ينبغي أن نعرض ولو بلمحة سريعة إلى سورة القصص،وما تحمله من دلالات خارجية بالتطرق إلى أسباب أو ظروف نزولها أو داخلية من خلال المعاني التي حوتها.

"فسورة القصص مكية نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود وهي قوة الله وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قوة الإيمان"[3].

وانطلاقا من هذا فقد فضح القرآن الكريم نوايا فرعون وأهدافه وبين الوسائل التي استعملها لتحقيق تلك الأهداف والنوايا ، ولعل هذا الأمر هو الذي يكشف بحق ممارسات الكفار ونواياهم على حدّ سواء، فالحال التي عليها المسلمون كانت أشبه بكثير بالتي كان عليها بنو إسرائيل في عهد فرعون.

فهذا الأخير قد طغى طغيانا أدى به إلى استذلال قومه واستضعافهم بأن ذبح أبناءهم واستحيى نساءهم، فذكر هذا التفصيل بالذات هو "الذي يؤدي هدف السورة الديني ويبرز يد القدرة سافرة متحدية تعمل وحدها بدون شأو من البشر فتضرب الظلم والطغيان والبغي ضربة مباشرة عندما يعجز على ضربها البشر وتنصر المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة وتمكن للمعذبين الذين لا حيلة لهم ولا قوة وهو المعنى

---

[1]-جلال الدين السيوطي، (ص414)، تفسير الجلالين، دار الفيحاء، دمشق.

[2]-سورة القصص.

[3]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (35/18).

الذي كانت القلة المسلمة المستضعفة في مكة في حاجة إلى معرفته واستيقانه"[1].

ولو قارنا الطبيعة التصويرية للحدث بين السورتين السابقتين –الأعراف وطه– وسورة القصص فإنه يمكننا أن نقف على الدلالات التالية:

–إن سورة طه كانت إجمالا مطلقا،فصل جزء منه في سورة الأعراف والجزء الأكبر تكفلت به سورة القصص، ولهذا كان لزاما علينا أن نقر بأن الإجمال والتلميح قد أدى دور كاملا في سورة طه والأعراف كما أداه التفصيل والتصريح في سورة القصص.

–إن سورة طه قد عرضت وبينت الوسيلة والغاية التي كان يود فرعون الوصول إليها بصورة مجملة، وهي قوله "طغى"، فهذا اللفظ له من الدلالات ما يمكنه من أن يختزل جميع الوسائل والغايات، فغاية فرعون القصوى هي الحفاظ على ملكه، ومن أجل هذه الغاية فإن أي وسيلة قد تهون مهما كان نوعها أو بلغت تكلفتها.

أما سورة الأعراف فقد بينت ممارسات فرعون بتحديدها قتل الأبناء واستحياء النساء، أما سورة القصص فقد ذكرت ذبح الأبناء واستحياء النساء، وهنا نجد أنفسنا أمام موقف يتطلب منا ضرورة تحديد الأبعاد التي انطوى عليها الحدث من خلال وحدة الحدث والغاية وتعدد الوصف والحكاية، وهذا ما يجعلنا نضطر إلى الرجوع إلى معاني الألفاظ: فمعنى القتل، هو "يقال قتله" إذا أماته بضرب أو حجر أو سم أو علة»[2]. ومن خلال تحديد معنى القتل ندرك الأبعاد الحقيقية للحدث.

فممارسات فرعون كانت القضاء على الأبناء واستعمل كل الطرق والوسائل لأجل تحقيق هذه الغاية، فسورة طه ذكرت الطغيان، لتأتي سورة الأعراف لتثبت طبيعته من خلال كشفها عنه بصورة عامة، وتتكفل سورة القصص بتوضيحه، ومن هنا يظهر لنا مدى إعجاز القرآن الكريم في تصويره للحدث بدقة متناهية يعجز عنها الواصفون، فالتذبيح المذكور في سورة القصص كان الوسيلة العامة والمفضلة لدى فرعون وجنوده في القضاء على كل مولود، بيد أن هذا لم يمنع ممارسات أخرى اختلفت الوسيلة واتحدت الغاية وكان القتل الذي ذكر في سورة الأعراف إحداها.

أما قوله في سورة الأعراف" وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيم" فمعناه في هذا العذاب اختبار وابتلاء من الله لكم عظيم فنجاكم منه أفلا تشكرونه.

في حين عبر في سورة القصص بقوله: "إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"، فإن المتأمل في هاتين الآيتين يدرك

---

[1]–سيد قطب، في ظلال القرآن، (39/18).

[2]–ابن منظور، لسان العرب، مادة "قتل"، (3528/5).

مدى ترابطهما من جهة، ودقة تصويرهما للحدث من جهة أخرى، فأعمال فرعون الشنيعة –قتل الأبناء واستحياء النساء– تعد بحق فسادا في الأرض وهذا الفساد كان ابتلاء لبني إسرائيل.

أما قوله: «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فهو" تعليل لجملة إن فرعون علا في الأرض، وقد علمت مما مضى عند قوله: «قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» أن الخبر بتلك الصيغة أدل على تمكن الوصف مما لو قيل أن أكون جاهلا، فكذلك قوله: «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» دال على شدة تمكن الإفساد، وفضل تأكيد المعنى لتمكن الإفساد من فرعون، ذلك لأن فعله اشتمل على مفاسد عظيمة"[1].

وهنا أيضا مظهر من مظاهر الإعجاز في التصوير، ونتوقف عند هذا الحد من التحليل، إذ لو أطلقنا العنان لبحثنا؛فتساءل مثلا عن العلاقة بين "قتل وبلاء، ذبح وفساد" لطال البحث وانحرف موضوع الدراسة.

كما تكفلت سورة القصص وحدها دون غيرها من عرضها للغاية التي بعث من أجلها موسى، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [2].

ولعل ذكر الغاية في هذه السورة بالذات يتلاءم ويتوافق مع الحال التي كان عليها المسلمون في مكة، فبين لهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

1-4-في سورة إبراهيم:

يعبر القرآن على ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [3].

"أول ما ينبغي الإشارة إليه هو أن سورة إبراهيم مكية وموضوعها الأساسي هو موضوع السور المكية الغالب، العقيدة في أصولها الكثيرة؛والوحي والرسالة والجزاء"[4].

ولهذا فإن ما ذكر من قصة موسى لا يعدو أن يكون تذكيرا للمؤمنين، فيتجدد إيمانهم وتتوحد قواهم فيعملوا جاهدين على نصرة هذا الدين، لكن الشيء الجديد في طريقة العرض هو إضافة الواو في

---

[1]–محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحريروالتنوير، (68/20).

[2]–سورة القصص، 5-6.

[3]–سورة إبراهيم، 6.

[4]–سيد قطب، في ظلال القرآن، (2077/3).

قوله: «ويذبحون»، ويرد صاحب الكشاف على هذا بقوله: "فإن قلت في سورة البقرة يذبحون، وفي الأعراف يقتلون وهاهنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت: «الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وتبيانا له، وحيث أثبت جعل التذبيح وحده لأنه أرقى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر".

كما أنه يمكننا أن نضيف شيئا آخر وهو أن زيادة الواو أدت إلى زيادة تعميق المعنى هذا العمق كشف عنه صاحب الكشاف.

وإن قيل الفرق بين ذبح وذبّح بتضعيف الياء، فقيل: "إنما ذلك للدلالة على الكثرة وفي التنزيل ويذبّحون أبناءكم وقد قرئ يذبحون أبناءكم، قال أبو إسحاق القراءة المجمع عليها بالتشديد، والتخفيف شاذ، والقراءة المجمع عليها بالتشديد أبلغ لأن يذبّحون للتكثير ويذبحون يصلح أن يكون للقليل والكثير ومعنى التكثير أبلغ"[1].

كما أن صيغة فعّل في اللغة تأتي للتكثير في الغالب[2].

وهنا يظهر لنا جليا ويتأكد من جديد دقة التصوير القرآني أثناء عرضه للأحداث.

1-5-في سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[3].

"إذا كانت قصة موسى تذكر في السور السابقة لتثبت القلة المؤمنة في مكة، بعرض تجارب الدعوة وموكب الإيمان الواصل منذ أول الخليقة وتوجيه الجماعة المسلمة بما يناسب ظروفها في مكة، فإنها في هذه السورة تقصد إلى كشف حقيقة نوايا اليهود ووسائلهم وتحذير الجماعة المسلمة منها، وتحذيرها كذلك من الوقوع في مثل ما وقعت فيه اليهود، وبسبب اختلاف الهدف بين القرآن المكي والمدني اختلفت طريقة العرض"[4].

---

[1]-الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (294/2).

[2]-ابن منظور، لسان العرب، مادة "ذبح"، (1485/3).

[3]-انظر: الزمخشري، المفصل في علوم اللغة، ص335، تقديم وتعليق: محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء علوم الدين- بيروت، 1990م.

[4]-انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (81/1).

وهذا اتفقت سورة البقرة في قوله: «أنجيناكم» مع سورة الأعراف ليختلفا بذلك مع سورة إبراهيم في قوله «أنجاكم» ولعل الفرق بين اللفظين في إضافة المتكلمين هو إعطاء أبعاد جديدة للحدث بجعل الغائب حاظرا وفي هذا طريقة جديدة للعرض لها دور في تصوير الحدث.

"ومن مراجعة المواضع التي وردت فيها قصة بني إسرائيل هنا وهناك يتبين أنها متفقة مع السياق الذي عرضت فيه متممة لأهدافه وتوجيهاته، وهاهنا متفقة مع السياق قبلها سياق تكريم الإنسان والعهد إليه والتبيان متضمنة إشارات إلى وحدة الإنسانية ووحدة دين الله المنزل إليها ووحدة رسالاته مع لفتات ولمسات للنفس البشرية ومقوماتها وإلى عواقب الانحراف عن هذه المقومات التي نيطت بها خلافة الإنسان في الأرض، فمن كفر بها كفر بإنسانيته وفقد أسباب خلافته وار تكس في عالم الحيوان"[1].

ويمكننا الآن أن نحاول تصوير الحدث بعرض أهم اللقطات التي احتكرتها كل سورة اعتمادا على الجدول التالي:

[1]-انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، (81/1).

الحدث	الأعراف	طه	القصص	إبراهيم	البقرة
علو فرعون وتقسيمه قومه إلى طوائف	/		علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم	/	/
ذبح الأبناء واستحياء النساء	يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم	/	يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم	ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم	يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم
وصف فعل فرعون	وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم	/	إنه كان من المفسدين	وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم	وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
الغرض من بعثة موسى	/	/	ونريد أن نمن على الذين... ما كانوا يحذرون	/	/
نسبة تصوير الحدث	أنجيناكم %10	%2	%68	أنجاكم %10	أنجيناكم %10

تصوير الحدث في ظروف ولادة موسى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-التكرار في إرضاعه وتربيته: (ذكر في موضعين)

2-1-في سورة طه:

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [1].

قبل الشروع في تحليل هذا الحدث ينبغي علينا أن نشير إلى نقطة مهمة، اعتمدها القرآن الكريم في سرده لقصص الأنبياء والمرسلين، وهي "أن الحوادث قد تسرد وفق تسلسلها الزمني لسياق يستتبع مثل هذا التسلسل، وقد يستدعي السياق تقطيع الزمن دون إخضاعه للتسلسل، بل إخضاعه للزمان النفسي بدلا من الزمان الموضوعي"[2]. ويتجسد هذا المبدأ بوضوح في قصة موسى هنا في سورة طه، إذ بدأت ببحثه عن الثار الذي يشكل آخر واقعة من حياته لتعاود الرجوع إلى إلقائه في التابوت الذي يشكل أولى بدايات حياته، ولعل هاته النقطة بالذات هي التي تساعدنا في التحليل، إذ سنتعامل مع الحدث دون إرجاعه إلى سياقه الزماني الحقيقي، بل إلى أشياء أخرى تتطلبها الدراسة، لنكوّن بذلك الملامح العامة للحدث.

"وفي سورة طه، صورة تعداد النعم على المصطفى ﷺ ليطمئن قلبه ويثبت جنانه، ولهذا ذكرت قصة موسى قبلها مصحوبة ببيان نعم الله على موسى وفضله عليه"[3]. لكن كيف كان هذا الفضل،وكيف كانت تلك النعم، يجيب على ذلك سيد قطب قائلا:

"إن موسى ذاهب لمواجهة أقوى ملك في الأرض وأطغى جبار...فربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلا من التهيؤ والاستعداد، وإنه لم يرسل إلا بعد التهيئة والإعداد، وأنه صنع على عين الله منذ زمان، ودرب على المشاق وهو طفل رضيع ورافقته العناية وسهرت عليه وهو صغير ضعيف، وكان تحت سلطان فرعون وفي متناوله وهو مجرّد من كل عدة ومن كل قوة، فلم تمتد إليه يد فرعون، لأن يد القدرة كانت تسنده وعين القدرة كانت ترعاه في كل خطاه، فلا خوف عليه اليوم من فرعون وقد بلغ أشده وربه معه قد اصطنعه لنفسه واستخلصه واصطفاه"[4]. ثم تذكره صراحة بنعمه التي أنعمها عليه فقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا

---

[1]-سورة طه، 38-40.

[2]-محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ص350-351، دار البلاغة، بيروت، 1985م.

[3]-محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص335.

[4]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (16/73-74).

عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى»، وفي هذا دليل على أن نعم الله عليه سائرة معه منذ أول ظهور له على هذا الكون بأن "أخفى الله أثر الحمل على أمه، ولذلك لم تتعرض القوابل اللائي بعثهن فرعون لتفتيش النساء، لم يتعرضن لأم موسى"[1].

أما قوله: «أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» فهاته الآيات تبين مدى صعوبة الموقف ووعورته، فقوله: «اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ». "حركات كلها عنف، وكلها خشونة، قذف بالطفل في التابوت وقذف في اليم بالتابوت وإلقاء للتابوت على الساحل ثم ماذا، أين يذهب التابوت المقذوف فيه بالطفل المقذوف في اليم الملقى على الساحل من يسلمه "عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ"[2].

ورغم كل هذا فقد تكفلت العناية الربانية بحفظه فقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [3]. إنها "القدرة التي تجعل من المحبة الهينة اللينة درعا تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليها الأمواج، وتعجز قوى الشر والعصيان كلها أن تمس حاملها بسوء ولو كان رضيعا لا يصول ولا يجول بل لا يملك أن يقول"[4].

ثم يتواصل السرد القصصي وكله تذكير بالنعم بمشية أخته لتبحث عنه فتجده دون عناء أو تكلف وكأن الحادثة أشبه بإنسان يوصى لإحضار شيء من آخر، ويتم له ذلك ولكن القرآن الكريم والوعد الرباني هو الذي تكفل بإرجاعه لأمه فقال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [5]. ولا أدل على هذا من كون أن الله تعالى استعمل نون المتكلم، فقال: "أرجعناك" ولو قال "فأرجعتك" ويقصد بذلك أخت موسى لتغير المعنى واختل أيما خلل.

ولعل أهم شيء يمكننا أن نستخلصه من طريقة السرد في هذا الحدث هو الاعتماد على الاختصار، والإجمال، ولا أدل على ذلك من كون أن العديد من الأحداث ابتدئت من وحي الله ﷻ لأم موسى وانتهاء بإرجاعه لها، اختصرت في جملتين فقط، ولو نظرنا إلى الزمن الحقيقي لوجدناه قد استغرق مدة أطول، ولكن هذا لا يعني أن هذا الاختصار والإجمال مخل، بل على العكس من ذلك، فهو يتفق جملة وتفصيلا مع الأهداف العامة التي رسمتها سورة طه.

---

[1]-محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ص447.

[2]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (6/73-74).

[3]-سورة طه، 39.

[4]-سيد قطب، في ظلال القرآن ، (6/73-74).

[5]-سورة طه، 40.

إنه لا يمكن الوقوف على أسباب ودواعي الإجمال إلا من خلال الوقوف على أحداث هذا المرحلة في السور التي تعرضت لذلك، ولهذا فستكون سورة طه هي المادة الخام التي سنعتمد عليها للوقوف على طبيعة الحدث ، ومعرفة الدلالات التي انطوى عليها .

2-2-في سورة القصص:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [1].

إنّ أول ما يلاحظ على طريقة السرد هذه اعتمادها على السكينة والهدوء في عرضها للأحداث، هاته السكينة التي سترافق القارئ وتجعله يستشعر الأحداث إلى الحد الذي يجعله يتفاعل معها، فيكون بذلك شريكا في بناء الحدث.

كما يلاحظ من جهة ثانية أن سورة القصص قد "عنيت أكثر من غيرها بقصة موسى وخاصة في مبدإ حياته وقبل بعثته، فهي تصور الصراع العنيف بين فرعون وجنده من طرف وبين موسى ودعوته من طرف آخر، وهذا الصراع يظهر ويختفي"[2].

والملاحظ" أن القصة لم تسرد لنا أي شيء عن فرعون وقراره بالقتل، كما لم تسرد لنا ولادة موسى وصلتها بذلك، بل اتجهت مباشرة إلى قصة الرضاعة وإلقائه في اليم في حالة الخوف من القتل، بيد أن النصوص المفسرة هي التي اضطلعت بتقديم هذه التفاصيل للأحداث»[3].

فالآية الأولى اشتملت على أمرين ونهيين وعلى بشارتين، فأما الأمران فإرضاعه وإلقاؤه في اليم وأما النهيان فهما عدم الخوف والحزن وأما البشارتان فهما إرجاعه إلى أمه وجعله من المرسلين. وتبعث هذه الأشياء على السورة وتنفح فيها مما يكسبها نفسا يجعلها تصور لنا طبيعة الأحداث المقبلة، فيتنبأ كل قارئ

---

[1]-سورة القصص، 7-13.

[2]-محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص335.

[3]-محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ص446-447.

بنتائج ذلك، ولهذا تأتي الآية المباشرة لتقرر هذه الحقيقة فتضع الموازين وتحدد أطراف الصراع في القصة فقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [1].

إذا "فهذا الطفل الذي ألقته أم موسى في اليم، وخافت عليه من أن يقتله فرعون، هذا الطفل قد سلمه فرعون نفسه، ولكن فرعون لم يدر أن الطفل سيكون له عدوا، سيكون نفس الطفل الذي قرر من أجله فرعون أن يقتل الأطفال من أجل ألا يولد موسى...من أجل ألا يولد الطفل الذي سيصبح راشدا، وسيكون زوال فرعون على يده... لم يدر فرعون أنه قد التقط الطفل الذي سوف يقتل فرعون، سوف يغرقه في اليم لم يدر أن اليم الذي أنقذ موسى سيغرق فرعون الذي أنقذ موسى من الغرق عندما كان التابوت يحمله وهو طفل، ثم انتهت النتيجة إلى أن يغرق فرعون نفسه لا موسى..."[2].

وعندما التقطه آل فرعون وعرضوه على فرعون وامرأته، بعث الله محبته في قلب امرأته فقالت وكلها عفوية وصدق« قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ» وهنا "يظهر تصوير القرآن لدقة المرأة وتوفيقها لعرض الموضوع، لم تطلب عدم القتل ابتداء بل في وسط الكلام وليس مبررات العطف والحنان وذكر جوانب المصلحة"[3].

أما أم موسى فالأمر عندها يختلف إذ بعد أن "ألقته في اليم أصبح قلبها مشغولا بولدها، شغلا اشتد عليها وملك عليها أمرها حتى أصبح فؤادها فارغا من كل شيء إلا من ولدها ورضيعها ولولا أن ثبتناها لقد كادت تفضي به وتصرح، وهكذا شأن المؤمنين الصادقين، وعند ذلك تحركت فيها مشاعر البحث، فقالت لأخته تتبعي أثره فتبعته حتى بصرت به عن قرب وهم لا يحسون بشيء، وأمام رفض موسى للمراضع انتهزت أخته الفرصة لتصرح قائله: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» وكانت النتيجة أن حقق الله وعده لأمه بأن أرجعه إليها" [4].

وبعد تتبعنا للأحداث في سورة القصص يجدر بنا أن نتساءل عن أهم الفروقات بين طبيعة السرد هذه وتلك التي أتت بها سورة طه، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد إعادة ولكن بألفاظ مختلفة؟وهذا ما سنثبته.

---

[1]-سورة القصص، 8.

[2]-محمد البستاني، دراسات فنية في القصص القرآني، ص448.

[3]-محمد محمود الحجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص336.

[4]-المرجع نفسه، ص937.

إن الحدث في سورة القصص يبدأ بالواو في قوله: «وأوحينا» بيد أنه في سورة القصص يبدأ بـــ إذ ولو تساءلنا عن الفروق التي بين الواو وإذ لوجدنا أن سيبويه «كان يمثل الواو بإذ وذلك أنك إذا قلت جئت وزيد قائم صلح أن تقول جئت إذ زيد قائم»[1]، وهذا يعني لنا مدى براعة القرآن في التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة وهذا مظهر في مظاهر الإعجاز.

ثم أنه في سورة طه قال «إلى أمك» على خلاف سورة القصص التي ذكرت "أم موسى"، ولعل اختلاف طريقة العرض راجع إلى النفسية التي كان عليها النبي ﷺ من ناحية، ولتوافق طريقة العرض مع جو السورة من ناحية أخرى، فكما ذكرنا سابقا أن سورة القصص تشع منها أطياف الهدوء وتنبع من بين ثناياها ينابيع السكينة هي التي تتوافق مع طبيعة الغاية، "أم موسى" على خلاف القوة والسرعة والعنف التي تتوافق مع الخطاب، ولهذا قال "إلى أمك" ولعل هذا الأمر ما ستثبته دلالات الأفعال الآتية:

فقوله "أقذفيه" معنى قذف رمي والقذف الرمي بقوة. يقول: "ناقة قذاف وقذوف وقذف وهي التي تتقدم من سرعتها وترمي بنفسها أمام الإبل في سيرها ، وناقة قذاف ومتقاذفة سريعة وكذلك الفرس، وفرس متقاذف سريع العدو وسير متقاذف سريع.

قال النابغة الجعدي:

بِحَيٍّ هَلْ يُزْجُرَنَّ كُلَّ مَطِيَّةٍ أَمَامَ الْمَطَايَا سَيْرُهَا الْمُتَقَاذِفُ

القذاف سرعة السير"[2]، ولهذا نجد أن هذه الكلمة ترتبط بالقوة والسرعة وبعد تعرفنا على معنى كلمة قذف ندرك بحق أنها تتوافق وطبيعة السرد القصصي للسورة كلها، كما أنها تجعلنا ندرك الموقف الذي كانت عليه أم موسى فهي في اللحظة هذه لا مجال للتفكير لديها بل عندها مجموعة أوامر ينبغي عليها تنفيذها واحدا تلوا الآخر-وكأننا نتصور أم موسى في اللحظات التي يود جند فرعون الدخول عليها، فلا تعي ما تفعل سوى ضرورة التخلص من هذا الرضيع إذ إلقاؤه في اليم يحتمل الموت والحياة في حين بقاؤه بين يديها لا يحتمل إلا الموت-وإن كان الله تعالى قد تكفل بحفظه- ثم لو تأملنا جيدا في طريقة العرض هذه لتساءلنا لماذا لم يقل فاليقذفه اليم بالساحل وإنما قال فاليلقه اليم بالساحل؟.

إن معنى" ألقى الشيء طرحه وفي حديث الأحنف أنه نعي إليه رجل فما ألقى لذلك بالا أي ما سمع له ولا اكترث به"[3].

---

[1]-سيبويه ابن بشير عمرو بن عثمان بن قنبر-الكتاب-، (47/1).

[2]-ابن منظور، لسان العرب، مادة قَذَفَ، (3560/5).

[3]- المصدر نفسه، مادة لَقِيَ، (4066/5).

من هنا تظهر لنا مدى دقة التعبير القرآني، فقوله: «فليلقه اليم بالساحل» فيه لطف وسكينة وهدوء ولكن قد يتساءل أحد بأن هذا تعارض وطبيعة العنف والقوة والسرعة التي تكلمنا عنها، غير أن الحقيقة عكس ذلك فالسرعة والعنف كانتا من تصرفات الأشخاص لا من الأشياء الأخرى، فنجاة موسى مرتبطة بقذفه في اليم أما إلقاء اليم له بالساحل فلم يكن بقوة وعنف لأن الحدث لا يحتاج إلى ذلك.

أما قوله عدو لي وعدو له فقد كرر كلمة عدو وكان بإمكانه أن يقول عدو لي وله ولكن طبيعة السرد وخطورة الموقف هي التي أدت إلى ذلك فالإكثار من كلمة عدو يجعل أم موسى تشرع في تنفيذ أوامر ربها من دون تردد، ثم إنه قال عدو لي أولا ثم عدو له ثانيا ليظهر لأمه مدى تعلقه به أكثر فيطمئن قلبها وهذا ما تؤكده الآية التي بعدها وهي قوله «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي»، إن السرعة تغمر الحدث وكأنه ومضات للبرق، ثم قال: «إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ» ولنلاحظ جميعا السرعة المتناهية في سير الأحداث وكأن أخت موسى جاهزة للخروج ليس لتقصي خبره والبحث عنه وإنما لتقول لفرعون وامرأته هل أدلكم على من يكفله ومن دون إجابة يكون الابن عند أمه -فأي سرعة أكثر من هذه-

إن هذه السرعة المتناهية قد كشفت عنها طبيعة سورة طه، قبل أن تكشف عنها دلالات الأفعال «قذف»، فسورة طه بدئت بقوله تعالى: «طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى»، وسورة القصص بدئت بقوله تعالى: ﴿طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1]. والذي يرتل "طه" يكملها في حركتين حركة للطاء والأخرى للهاء، أما الذي يقرأ طسم يقرأها بثلاثة عشر حركة، حركة للطاء وستة للسين والستة المتبقية للميم، ثم إن الآية الأولى من سورة طه تنتهي قبل أن تنتهي الآية الأولى من سورة القصص.

أما سورة القصص فإنها تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[2]. والرضاع أهم شيء يحتاج إليه الطفل في بداية حياته، ولأهميته كان لزاما أن يقرن بالسكينة والهدوء ولهذا استمر العرض في سورة القصص على هذه الوتيرة فكان قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾[3]. إنه شرط مقرون بضمانات، فقوله:﴿ إِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ وعقب على إلقائه في اليم بعدم الخوف عليه فيه إشارة قوية ودليل قاطع أن ولدها لن يمسه مكروه بل على العكس من ذلك فإنه سيرجع إليها ويكون أحد رسل الله إلى عباده.

---

(1)-سورة القصص: 1-2.

(2)-سورة القصص: 7.

(3)-سورة القصص: 7.

وعندما وقع موسى في يد فرعون عبر القرآن على ذلك بقوله: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾[1].

وأما تعبيره بالفعل التقط لما فيه من الحنية والرأفة على خلاف الفعل أخذ الذي ينطوي على معاني الشدة والعنف.

ثم يرد الله تعالى على فعلتهم تلك بقوله ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، وإن القارئ لهاته الآية يرى ويحس ما فيها من السكينة والهدوء.

ثم يتناول السرد القصصي موقف أم فرعون وموقف أم موسى، كل منهما كيف تعاملت مع الأحداث وكانت في مجملها تفصيلا لما أتى في سورة طه.

وانطلاقا من تحليل الحدث في السورتين يبدو جليا أن كلا منهما يكمل الآخر فما أسقطته سورة طه حوته سورة القصص والعكس صحيح ، كما يظهر توافق الأحداث ليس مع طبيعة السرد في السور فحسب وإنما مع طبيعة نفسية الرسول والمؤمنين أيضا، إذ أن هذه القصص ليست مقصودة لذاتها وإنما لغاية هي أسمى مما تطمح إليه النفس البشرية .

ولو حاولنا أن نبرز الحدث من خلال لغة الجداول فإن الأمر سيكون كالآتي

---

[1]- سورة القصص: 7.

السورة / الحدث	طه	القصص
الوحي إلى أم موسى	إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى	وأوحينا إلى أم موسى
طبيعة الوحي	أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فاليلقه اليم بالساحل	أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم
طمأنة أم موسى ووعدها	/	ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين
مصير موسى	يأخذه عدو لي وعد له	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
حال امرأة فرعون وأم موسى	/	وقالت امرأة فرعون قرة ... لتكون من المؤمنين
البحث عن موسى ورجوعه إلى أمه	إذ تمشي أختك فتقول ... فرجعناك إلى أمك	وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون. وحرمنا عليه... هل أدلكم على من يكفله
تحقق وعد الله	/	كي تقر عينها ولا تحزن. لتعلم أن وعد الله حق... لا يعلمون
نسبة تصوير الحدث	%25	%75

تصوير الحدث في إرضاعه وتربيته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-دعوته إلى لقاء فرعون: (ذكر في أربعة مواضع)

3-1-في سورة طه:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى. وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى. لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾[1].

تتواصل قصة موسى بما فيها من الأحداث والأحاديث، وتتكفل سورة طه بسرد بعضها لتترك البعض الآخر لسور أخرى.

وهنا عند وصول موسى إلى الطور يلمح نارا فيأمر أهله بالمكوث "أي أقيموا في أماكنكم والإيناس الإبصار البيّن الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإنس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو إبصار ما يؤنس به لما وجد منها لإيناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة أن ليوطن أنفسهم ولما كان الإتيان بالقبس-القبس: النار، والقبس الشعلة من النار وفي التهذيب القبس شعلة من نار تقبسها من معظم واقتباسها الأخذ منها، وقوله تعالى **بشهاب قبس**، القبس الجذوة، وهو النار التي تأخذها في طرف عود-[2]. ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع، وقال "لعلي" و لم يقطع فيقول أني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به...وتكرير الضمير في "إني أنا ربك" لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة، روي أنه لما نودي موسى قال: من المتكلم فقال له الله عز

---

[1]-سورة طه: 9-37.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، مادة قَبَسَ (3510/5).

وجل إني أنا ربك، وإن إبليس وسوس إليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست وأسمعه بجميع أعضائي"[1].

ثم إن الملاحظ على الآيات هو أن أول اتصال لموسى بربه قد أمر بتوحيده ثم بعبادته،وأهم شيء في العبادة هو الصلاة حتى يكون من الفائزين في الآخرة.ولكن أمر العبادة وتبليغ الرسالة لم يكن بالأمر الهين إذا لم ترافقه آيات أو علامات تدل على أنه نبي فعلا،ولهذا سأله عن وظيفة العصا التي يحملها وكان رده رد أي إنسان بأن ردد وظائفها الطبيعية،فهو يتوكأ عليها،ويهش بها على غنمه بالإضافة إلى أشياء أخرى تتطلبها المواقف وتفرضها الظروف،ولكن الله ﷻ يريد أن يضيف للعصا وظائف غير عادية تكون بمثابة دلائل قاطعة على أن الشيء الذي يحمله موسى ليس عاديا،فأمره بإلقائها فإذا بها حية تسعى، إن هذا الأمر ليس غريبا على موسى فحسب بل هو الغرابة في حد ذاتها، إذ كيف بخشبة معتاد هو على حملها، رميها ووضعها تتحول بين يديه إلى حية ساعية هنا وهناك، ثم يؤمر بحملها وهذا الأمر أغرب من سابقه وأصعب على موسى من أن يتصوره فكيف به ينفذه، ثم أمره بأن يضمم يده إلى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء «ووضع موسى يده تحت إبطه والسياق يختار للإبط والذراع صورة الجناح لما فيها من رفرفة وطلاقة وخفة في هذا الموقف المخيف المطيق من ربقة الأرض وثقلة الجسم لتخرج بيضاء لا عن مرض وآفة، ولكن آية أخرى مع آية العصا «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى»لتشهد وقوعها بنفسك تحت بصرك وحسك فتطمئن للنهوض بالشريعة الكبرى»[2]، ثم يأمره ربه بالذهاب إلى فرعون،ولم يكن من موسى سوى قبول أمر ربه وهي عادة الأنبياء والمرسلين،لكنه طلب منه أشياء ليست لخاصته، وإنما لتكون وسائل تساعده في تبليغ رسالته ،فقد طلب موسى أولا أن تمنحه السماء قدرة الصبر على الشدائد وتيسر المهمة تلا ذلك طلبه من السماء أن تزيح عنه عقدة اللسان، مادام الموقف يتطلب مهارة كلامية بغية إيصال الحقائق إلى العدو بوجهها الأكمل، تلا ذلك طلبه من السماء أن ترسل معه أخاه هارون ليساعده في تحقيق المهمة، أكثر من ذلك فقد طلب موسى من السماء أن تجعل من هارون ليس مجرد وزير يستعين به في تحمل المسؤولية، بل طلب من السماء أن تحمل هارون مسؤولية النبوة ذاتها، لأن تحميله مسؤولية النبوة يجعله أشد حرصا على تحقيق المهمة الخلافية، وإزاء هذا الطلب حققت السماء لموسى أمنيته قائله له: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى»[3].

وإذا نظرنا إلى الحدث نجده يشتمل على المواقف الآتية:

---

[1]-الزمخشري، الكشاف، (2/428-429).

[2]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (16/71).

[3]-محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ص361، 362.

-خروج موسى من مدين وبلوغه الطور مع أهله.

-رؤيته النار وطلبه من أهله البقاء إلى حين يأتيهم بقبس أو خبر.

-سماعه لنداء ربه الذي طلب منه الذهاب إلى فرعون.

-رؤية موسى بعض المعجزات في عصاه وفي يده.

-وصف فرعون بالطغيان.

-طلب موسى من الله أن يعينه على أداء رسالته.

-إجابة الله دعوة موسى وتحقيق مطالبه.

إن تحديد الملامح العامة للحدث هو الذي سيمكننا من مقارنته بالأحداث في السور الأخرى.

3-2-في سورة الشعراء:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [1].

إن سورة الشعراء لم تتكلم عن بلوغ موسى الطور ولا عن معجزاته وإنما ركزت على دعوته إلى لقاء فرعون ورد فعل موسى من ذلك، ولو حاولنا مقارنة هذا الحدث بسابقه نجد الاختلاف في النقاط التالية:

-إن فرعون قد وصف في سورة طه بالطغيان وهو هنا يوصف بالظلم.

-تردد موسى وتخوفه من تكذيب فرعون له لم يذكر في سورة طه.

-تخوفه من عدم صبره وعدم فصاحته، أتى في سورة طه كمطالب وليس كتخوف.

-تذكر ذنبه الذي اقترفه-وهو قتل القبطي- وتخوفه من قتله وهذا لم تذكره سورة طه.

-طمأنة الله له ولأخيه وهذا لم تذكره سورة طه.

وإذا أسقطنا ما أتت به سورة الشعراء، لوجدناها تكمل بعض الفجوات في سورة طه، وهذا الأمر سندعه نحن إلى الفصل الموالي الذي يعنى بإعادة ترتيب الأحداث

---

[1]-سورة الشعراء: 9-15.

3-3-في سورة النمل:

قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [1].

لو دققنا في تصوير هذا الحدث لوجدناه يشبه إلى حد بعيد ذاك الذي صورته سورة طه، لكن شبهه هذا لا يرقى لأن يكون مثله، فالحدث حقيقة واحد، ولكن مواقف الحدث تختلف أو تشترك جميعها لتبني الحدث .

"فالشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبسا وغير قبس، ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس، والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله"[2].

أما لو تساءلنا عن سبب تعبيره في سورة طه بسآتيكم وفي سورة النمل بـــ"لعلي" فإن لعلي تفيد الترجي وعدم التيقن على خلاف السين في سآتيكم، وهذا ليس تناقضا بين الموقفين بقدر ما هو تعبير عن الحالة النفسية التي كان عليها موسى فالظروف الصعبة التي واجهها -الوحدة والبرد- جعلا منه يندفع بفرح عند رؤية النار فقال مؤكدا إنه سيأتي بخبر منها لكن عندما رجع إلى نفسه وعرف مدى قدرته في الحصول على ذلك قال "لعلي" وهنا تظهر لنا أيضا دقة القرآن في تصويره للأحداث.

أما قوله في سورة طه «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» وقوله هنا «سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ» فإن هاذين الموقفين يتكاملان مع بعضهما فموسى كان يبحث عن شهاب سواء كان قبسا أو غيره كما كان يبحث عن خبر يهتدي به في طريقه إلى مصر.

وقوله في سورة طه "فَلَمَّا أَتَاهَا" بخلاف سورة النمل فلما جاءها فإن هذا راجع للدلالات النفسية التي يحملها كل منهماوإعجاز للعرب بأن يعبروا عن الحدث بصور متعددة دون إخلال بمبادئ البلاغة والفصاحة .

---

[1]-سورة النمل: 7-12.

[2]-الزمخشري، الكشاف، (3/ 13).

أما قوله: «أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» في سورة النمل على خلاف سورة طه «أَنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى»، فإن هاذين التعبيرين يكملان بعضهما البعض أيضا.

كما أضاف شيئا جديدا في صورة النمل وهو قوله: «فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ» "وهذه الآيات قد كشف عنها في سورة الأعراف وهي سنون الجذب، نقص الثمرات، الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع والدم لأن التركيز هنا على قوة الآيات لا على ماهيتها وعلى وضوحها وجحود القوم لها" [1].

وهكذا تظهر لنا سورة النمل بعض الملامح الكبرى لهذا الحدث مما يجعل طموحنا يتعدى ذلك إلى معرفة أدق التفاصيل عن هذا الموقف إذ يعتبر أهم موقف في حياة موسى كيف لا وهو الذي يكلم فيه ربه ويحمل رسالته، ولعل السور الأخرى هي التي ستكشف لنا عن تلك التفاصيل.

3-4-في سورة القصص:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [2].

إن سورة القصص تضرب بجذورها على الحدث وتعد الأكثر تفصيلا ولو حاولنا أن نبرز أهم المواقف التي تحتويها لوجدناها كالآتي:

1-خروج موسى من مدين وبلوغه الطور مع أهله.

2-رؤيته النار وطلبه من أهله البقاء إلى حين يأتيهم بخبر أو جذوة من النار.

3-سماعه لنداء ربه.

4-رؤية موسى بعض المعجزات في عصاه وفي يده

---

[1]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (132/19).

[2]-سورة القصص: 29-32.

5-وصف فرعون بالفسوق.

وإذا أمعنا النظر في هذه المواقف قد يتبادر للبعض أنها نفسها التي تم ذكرها في سورة طه ولكن الأمر على عكس ذلك، وحتى نبين هذه النقطة بالذات نجري المقارنة بين ما ذكر في قصة موسى في سورة القصص مع بقية السور الأخرى معتمدين في ذلك على العناصر المشتركة التي ذكرت في السور جميعها وهي:

1-خروج موسى من أرض مدين قاصدا مصر

2-رؤيته النار وطلبه من أهله أن يمكثوا.

3-سماعه النداء من ربه.

4-رؤيته معجزة العصا ويده.

5-وصف فرعون ببعض الصفات

6-طلب موسى من الله أن يعينه

7-إجابة الله دعوته.

فخروج موسى من أرض مدين قاصدا مصر لم يذكر هذا الحدث مطلقا إلا في سورة القصص في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾.

أما رؤيته النار وطلبه من أهله أن يمكثوا فكان كما يلي:

في سورة طه: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [1].

وفي سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [2].

وفي سورة القصص: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

---

[1]-سورة طه: 10.

[2]-سورة النمل: 7.

لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [1].

ويلاحظ على الآيات ما يلي:

إن طلبه من أهله البقاء وتكراره ذلك كان على سبيل التقرير والتأكيد "فموسى لما رأى النار أمر أهله أن يمكثوا في مكانهم لا يبرحونه حتى يأتيهم بخبر يسرهم، أو يأتيهم بقطعة من النار يصطلون بها، وهذان المطلوبان تارة يقدّم هذا ويؤخر ذلك تبعا لحالته النفسية، وفي مثل هذا الموقف العصيب لرجل مهاجر في الصحراء ومعه أهله والليل ليل قر والمكان موحش، وقد رأى على البعد نارا موقدة مثل هذا الموقف لابد أن تتحرك فيه نفسه ويدور بخلده معان فتنقبض نفسه تارة وتنبسط أخرى"[2].

ثم لعدم تأكده من مدى حصوله على مراده فقد عبر بذلك بفعل "الترجي" وفي هذا لمحة لطيفة حتى يتسنى له أن يجد ما يطلبه.

كما تعددت معاني القطعة التي يحضرها، فهل هي جذوة "حطب بعد الاشتعال أو شهاب" و"شعلة من النار ملتهبة" أو قبس، أما مراده الثاني فهو الهداية في الطريق سواء بخير أو غير ذلك.

أما اختلاف النداءات بالواد المقدس فإن كلا منها يتوافق مع طبيعة السورة والنفسية التي كان عليها موسى وتتوافق مع نفسية النبي ﷺ .

وقوله: «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ».

وقوله: «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وقوله: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

فكل هاته النداءات قد طرقت أذني موسى، فإذا جمعناها مع بعضها ظهر لنا جليا أن جميعها يشكل موقفا واحدا ولا تعارض بينها، بل على العكس من ذلك إنها تصور الحدث بدقة متناهية.

أما ما كان من معجزة العصا وتحولاتها المختلفة فإن صاحب الكشاف يكشف لنا عن ذلك بقوله: "فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة، بالحية والجان والثعبان "قلت" أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورم ويتزايد حجمها حتى تصير ثعبانا، فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها، والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة

---

[1]-سورة القصص: 29.

[2]-محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص297.

حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى: «فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ» وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا"[1]. وهذا التفسير يعد تعليلا صريحا وواضحا، وتطمئن له النفس باتخاذه دليلا على تعدد التعابير واتحاد الموقف . أما الصفات التي حملها فرعون، فكانت متعددة، فكان طاغية كما عبرت سورة طه، كما كان فاسقا، كما عبرت سورة النمل والقصص، وظالما كما عبرت سورة الشعراء.

أما ما طلب موسى من ربه فإنه كان على مرحلتين، أولا من خلال إبدائه تخوفه من عدة أشياء ذكرتها سورة الشعراء، وأمام تخوفه سأل ربه أن يزيل عنه تلك التخوفات وهو ما تكفلت به سورة طه.

ثم أجاب الله دعوته بأن حقق له كل ما طلب.

3-5-في سورة النازعات:

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [2]. وتحتوي هذه السورة على موقف واحد، وهو طلبه أن يذهب إلى فرعون الذي طغى.

ويمكننا أن نضيف هذه الصورة إلى الصور الأخرى لتشكل كلها موقفا واحد. والجدول التالي يبين ذلك.

---

[1]-الزمخشري، الكشاف، (431/2).

[2]-سورة النازعات: 15-17.

السورة / الحدث	طه	الشعراء	النمل	القصص
خروج موسى من أرض مدين قاصدا مصر	/	/	/	فلما مضى موسى الأجل وسار بأهله
رؤيته النار وطلبه من أهله أن يمكثوا	لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى	/	سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلحون	لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون
سماعه النداء من ربه	إني أنا ربك	/	إنه أنا الله العزيز الحكيم	إني أنا الله رب العالمين
رؤيته معجزتي العصا ويده	حية تسعى واضمم يدك تخرج بيضاء من غير سوء	/	تهتز كأنها جان أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء	رآها تهتز كأنها جان أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
صفات فرعون	إنه طغى	القوم الظالمين، قوم فرعون	إنهم كانوا قوما فاسقين	إنهم كانوا قوما فاسقين
طلب موسى من الله أن يعينه	رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا..... هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري	قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون	/	/
إجابة الله دعوة موسى	قال قد أوتيت سؤلك يا موسى	قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون	/	/
نسبة تصوير الحدث	%40	%20	%20	%20

تصوير الحدث في دعوته إلى لقاء فرعون

4-إعادة ترتيب أحداث القصة:

إن المقصود بإعادة ترتيب أحداث القصة هو إلقاء مسحة عامة على كل ظلال القصة، مما يتيح لنا الوقوف على جميع مراحلها وكل أحداثها، فما تناولناه في المباحث السابقة كان دراسة للمواطن التي ذكر فيها موقف واحد وتكفلت كل سورة بعرض جزئية خاصة به تتوافق وطبيعة السورة ذاتها، وهذا ما يجعل حديثنا يتنازل عن تلك المواقف التي ذكرت مرة واحدة، وفي سورة واحدة، إذا فالغرض من هذا المبحث هو تسليط الضوء على القصة ككل، بكل تفصيلاتها وجزئياتها، ما تعدد منها وما انفرد، حتى نتمكن من الوقوف على المعاني والدلالات التي حملتها.

إن الوصول إلى الهدف المذكور يتطلب منا وضع خطة محكمة الأصول لنتمكن من الوقوف على القصة وهذه الخطة تكمن في:

أ-وضع الخطوط العريضة التي اشتملت عليها القصة، أو بعبارة أخرى الأحداث الرئيسية التي تشكل العمود الفقري للقصة.

ب-محاولة ملأ الفجوات بين الأحداث، مما يؤدي إلى محاصرة القصة من جميع جوانبها وفي كل جزئياتها.

إن قصة موسى قبل الدعوة تحتوي على المواقف التالية:

-ولادة موسى والظروف التي أحاطتها.

-وحي الله لأم موسى بوضع ابنها في تابوت وإلقائه في اليم وتكفله بحفظه ورعايته ورده إليها.

-وقوع موسى في يد فرعون وتكفل امرأته بتربيته.

-رجوع موسى إلى أمه وإرضاعها له.

-الذنب الذي ارتكبه موسى بإعانة الإسرائيلي على قتل المصري، وفراره إلى مدين.

-تزوج موسى من إحدى بنات شعيب في مدين.

-عودة موسى ومطالبه واستجابة ربه لتلك المطالب

ذكر اسم موسى في القرآن أكثر من مائة وثلاثين مرة، وأول مرة ذكر فيها وفق ترتيب السور حسب النزول في سورة الأعلى في قوله تعالى: «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»، أما ظروف ولادته عليه السلام فقد ذكرت في سورة القصص وطه. أما ما ذكر منها في سورة الأعراف وإبراهيم والبقرة فهو تذكير من موسى

لبني إسرائيل –لنعم الله التي أسداها لهم وإن وضعناها في السورتين ضمن السور التي تتكلم عن ظروف ولادته، فلأنها تشع علينا ببعض الأضواء لعلها تفيدنا في تقصي الحقائق حول الملابسات التي كانت وراء ظروف الولادة–.

ولهذا فإننا في هذا المقام سنقصي كلا من سورة الأعراف، إبراهيم والبقرة، ويبقى اعتمادنا على سورتي القصص وطه.

–في سورة طه: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [1].

–في سورة القصص: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [2].

والملاحظ أن سورة طه قد مهدت لتفسير ممارسات فرعون، فكان أن وصفتها بالطغيان، لتتكفل سورة القصص بترشيح تلك الممارسات سواء كانت قتلا، ذبحا أو غير ذلك، فالمهم ليست طريقة الإبادة وإنما الإبادة ذاتها بأي وسيلة كانت وعلى أي طريقة أتت.

أما وحي الله لأمه فقد أتى:

–في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ [3].

–في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [4].

والفرق بين السورتين هو أن سورة طه أتت مجمله أما سورة القصص، فقد فصلت ذلك تفصيلا، كما أن سورة القصص صورت أم موسى وهي مطمئنة على وليدها في حين صورت سورة طه رعبها وخوفها، وهذا ما جعل الوحي يطلب منها أشياء لتنفذها،فلم يترك لها مجالا للتفكير؛لأن جند فرعون كانوا على وشك الوصول إلى بيتها، حسب ما يفهم من السياق.

---

[1]–سورة طه: 24.

[2]–سورة القصص: 4–6.

[3]–سورة طه: 38–39.

[4]–سورة القصص: 7.

أما وقوع موسى في يد فرعون وتكفل امرأته بتربيته، ثم عودته لأمه وإرضاعها له فقد أتى في سورتي طه والقصص.

-في سورة طه: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [1].

-في سورة القصص: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

ولو أسقطنا الصورتين على بعضهما، نلاحظ أن سورة طه قد أضافت شيئين جديدين يكملان الصورة ، وهي وصف فرعون بأنه عدو لله وعدو لموسى، وإلقاء محبة الله عليه.

أما الذنب الذي ارتكبه موسى بإعانة الإسرائيلي على قتل المصري، وفراره إلى مدين، وتزوجه من إحدى بنات شعيب، فإنه لم يذكر إلا مرة واحدة في سورة القصص، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ. فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ. فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ. وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ

---

[1]-سورة طه: 39-40.

[2]-سورة القصص: 8-13.

وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [1].

هذه هي الصورة الوحيدة، التي صور فيها القرآن هاتين المرحلتين من حياة موسى، و لم يذكر عنها شيئا في غير هذا الموضع، إلا أن يكون تذكيرا بما فيهما من عبرة وعظة، كما ذكر في سورة طه عن قتل المصري ونجاة موسى من القصاص منه: «وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا» أو أن يكون ذلك تهديدا وتخويفا كمواجهة فرعون لموسى بهذه الفعلة، حين جاء يدعوهم إلى الله فقال: «وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين»[2].

لكن لماذا لم يتكرر هذا الحدث أو بعبارة أخرى لماذا كشفت لنا سورة القصص وحدها هذا الحدث دون أن تشاركها سورة أخرى، ولعل الإجابة على هذا السؤال تكمن في كون أن تعدد تصوير الحدث بين سور القرآن ليس مقصودا لذاته، وهذا ما يجعل أحداثا أخرى تتناول في سورة واحدة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ما احتوت عليه سورة القصص لا فائدة ترجى من إعادة تكراره أو توزيع أحداثه بين ثنايا السور، فلم يكن الله ليثقل كاهل النبي بتذكيره بهاته الحادثة مرات عديدة –قتل المصري– إلا ما كان منها على سبيل الوعظ كما ذكرنا. وأما زواجه بابنة شعيب فلأن الأمر هذا يدخل في النمو الطبيعي لأي شخص كان.

أما عودة موسى إلى مصر وتكليم الله له وما جرى بينهما من حوار فإن السور الثلاث تكشف عنه، وهي جميعها مشتركة. فلا يمكن لإحداها أن تصف الموقف وصفا يمكن أن تطمئن إليه النفس بالحد الذي لا يجعلها تتوق للاستفسار عن أشياء تعتقد أنها مهمة، وينبغي معرفتها حتى يتسنى لها الوقوف على الحدث بكل تفاصيله.

–في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى. وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى. لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى. اذْهَبْ

---

[1]–سورة القصص: 14-23.

[2]–عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص244، دار الفكر العربي، دت.

إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ [1].

-في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [2].

-في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [3]. ولو جمعنا هاته الصور لظهر جليا أنها تشكل موقفا واحدا، ولكن اضطلعت كل سورة بجزء يتناسب معها.

---

[1]-سورة طه: 9-37.

[2]-سورة النمل: 7-12.

[3]-سورة القصص: 29-35.

الفصل الثالث:

التكرار في قصة موسى بعد الدعوة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-دعوته فرعون: (ذكر في خمسة مواضع)

إن أهم وأخطر حدث في حياة موسى هو لقاؤه مع فرعون، وأهمية هذا الحدث تكمن في كونه يمثل الغاية التي من أجلها خلق موسى وهي إنقاذ بني إسرائيل من تجبر فرعون وكيده، وأما خطورته فترجع لكون موسى قد اقترف ذنبا وهو قتل المصري فخرج هاربا، وفعلته هذه راسخة في ذهنه وهو يدرك جيدا أن فرعون سيقتص منه لأجل ذلك.

ولصعوبة هذا الموقف وخطورته فقد تكفلت سور عديدة ببسط أحداثه، وكل سورة أخذت جانبا منه يتوافق معها ، ويتناسب .

1-1-في سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [1].

إذا نظرنا إلى الطبيعة التصويرية لهذا الموقف كما تعرضه هذه الآية فإنه يمكننا أن نلاحظ الآتي:

-إن موسى قد نادى فرعون باسمه وهذا الأمر له مبرره، فمن جهة يريد أن يلفت انتباهه ليركز معه بدقة متناهية لأن الأمر الذي سيخبره به ليس بالأمر الهين، بل عليه أن يضرب له ألف حساب، كما أنه يريد وضعه في موقف يتوافق وطبيعته الإنسانية، وفي هذا تصغير له ليس لكونه بشرا من درجة دنيا وإنما كونه ادّعى الربوبية، فأراد إنزاله منها مع أول موقف معه، ويتكفل بذلك بداية التلميح دون التصريح.

-وقوله: «إِنِي رَسُولٌ مِن رَبِ العَالَمِينَ» ينطوي على العديد من الدلالات.

أ-فقوله "رَسُولٌ" بالتنكير تثبيت للرسالات التي أتى بها الأنبياء من قبله.

ب-قوله "مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" تأكيد على وجود رب واحد لهذا الكون، وهذه العبارة صريحة ذاتها، فنفت عن موسى أن يدعي الألوهية كما ادعاها فرعون، ونفت عن هذا الأخير ذلك، فلا يشك فرعون أن موسى يريد أن ينافسه في المنصب الذي هو عليه، بل إن ما في الأمر هو أنهما جميعا عباد الله، وعلى فرعون أن يؤمن بهذه الحقيقة.

-أما قوله "حَقِيقٌ" فهو يدل على مدى إلزامية موسى فعل ذلك الأمر.

---

[1]-سورة الأعراف، 104-105.

-قوله «عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَ»، هذا وعد صريح على أن ما أتى به موسى ليس من عنده وإنما هو من عند الله.

-«قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِنَةٍ مِنْ رَبِكُمْ» قد حرف تحقيق،ويريد هنا موسى أن يظهر حقيقة البينة، وقال «مِنْ رَبِكُمْ» و لم يقل من ربك ليظهر له مدى تساويه مع قومه، فكأنه قال له بعبارة أخرى أنت وقومك عباد لله.

-أما قوله «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فهنا إظهار للغاية التي بعث بها موسى وهي أن ينجي بني إسرائيل.

إن أهم شيء يلاحظ على هذه الدلالات اعتمادها على الصراحة المتناهية، وهذا لا يمكن أن يكون إلا في مرحلة متأخرة، بعبارة أخرى، إنه لا يمكن لموسى أن يواجه فرعون لأول مرة ويكلمه ويخاطبه بهذه الصراحة المتناهية، وهذا ما يجعلنا نقر بأن هذا الموقف قد أتى بعدما اعتاد موسى على لقاء فرعون أو على الأقل أنه ليس أول لقاء به، فمن الناحية النفسية، لا يمكن لموسى أن يصارح فرعون بكل هذه الحقائق لأنه يهابه خاصة من الفعلة التي ارتكبها على الأقل.

ومن الناحية العضوية كون موسى لم يكن فصيحا مما يجعله يفصح عن كل هذا، وقد اعترف هو بنفسه بأن طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون لأنه أفصح منه لسانا.

وهذه الحقائق تجعلنا نغوص في الجزئيات التي أتت بها السور الأخرى لنقف على الحدث بكل جزئياته.

1-2-في سورة طه:

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [1].

فقوله: "«فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَا رَسُولَا رَبِكَ» أي إنا رسولان من عند ربك، أرسلنا إليك، وتخصيص الذكر بلفظ ربك لإعلامه أنه مربوب وعبد مملوك لله، إذ كان يدّعي الربوبية، «فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِبْهُمْ» أي أطلق سراح بني إسرائيل ولا تعذبهم بتكليفهم بالأعمال الشاقة «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِن رَبِك، أي قد جئناك بمعجزة تدل على صدقنا، و«السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى» أي والسلامة من عذاب الله لمن

---

[1]-سورة طه: 47-48.

اهتدى وآمن بالله، «إِنَا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَى» أي قد أخبرنا الله فيما أوصاه إلينا أن العذاب الأكيد على من كذب أنبياء الله وأعرض عن الإيمان"[1].

والملاحظ على الآيات أنها قد لخصت الرسالة ككل، ومبرر هذا "أن فرعون لا يصبر على الاستماع وأن أحدا لا يجرؤ على أن يجري معه حديثا مفصلا ممتدا، فما اعتادت أذنه أن تسمع كلاما، وإنما هو الذي يتكلم وسرعان ما تتحول الكلمات إلى أفعال، ولهذا كان التدبير الحكيم بتلخيص الرسالة التي جاءه بها موسى وهارون من ربهما وإيجازها هذا الإيجاز المعجز.

لقد أدى الرسولان رسالة ربهما... وما يبقى هو أشبه بالتذييل لها والتعقيب عليها، ولهذا يقول الرسولان في صوت خفيض وهما يتراجعان إلى الوراء: «إِنَا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَى» إنه أشبه بالحديث إلى النفس أكثر منه بالحديث إلى فرعون"[2].

"وبذلك نرى في هذه الآيات الكريمة أسمى ألوان الدعوة إلى الحق وأحكمها، فهي قد بدئت بالأساس الذي تقوم عليه كل رسالة سماوية «إِنَا رَسُولَا رَبِكَ» وثنت ببيان أهم ما أرسل موسى وهارون من أجله «فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِبْهُمْ» وثلثت بإقامة الأدلة على صدقهما «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِكَ» وربعت بالترغيب والاستمالة «وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَبَعَ الْهُدَى»، ثم ختمت بالتحذير من المخالفة «إِنَا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَى"[3].

وقد "خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه، ويحتمل أن يحمله خبثه –فرعون– ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرثة في لسان موسى، ويدل عليه قوله: «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ"[4].

وانطلاقا من استعمال المثنى بدل المفرد، فإن هذا الموقف يكون قبل ذلك الذي كان في سورة الأعراف على الأقل من الناحية النفسية.

كما أنه استعمل «رَسُولَا رَبِكَ» دون «رسولا ربكم» لتهيئة فرعون، إذ أنه يمكن أن يتقبل أن هناك إلها فوقه، بيد أنه لا يمكنه أن يتقبل مساواته مع قوم صارحهم بقوله ما علمت لكم من إله غيري،

---

[1] –محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (143/2)، دار الصابوني، 1995م.

[2] –عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (797/16)، دار الفكر العربي، مطبعة السنة المحمدية، دت.

[3] – محمد السيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (43/16).

[4] –الزمخشري، الكشاف، (435/2).

وقوله: لا تعذبهم فيه إشفاق على بني إسرائيل، ولعل هذا الخطاب موجه إليهم بالذات فيذكروا نعمة الله التي أسداها لهم.

وخلاصة الحدث في سورة طه أنه أتى مجملا وأنه تمهيد لأشياء يتم تفصيلها في الأوقات المناسبة لها عند اقتضاء الضرورة ذلك، كما أنه يبقى غامضا مما يتطلب منا الإطلالة عليه في السور الأخرى.

1-3-في سورة الشعراء:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [1].

يعد تصوير الشعراء للحدث أكثر صراحة وأشد اختصارا من الذي كان في سورتي طه والأعراف، ويختلف مع سابقيه في اعتماده المفرد بدل المثنى.

«فإن قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله «إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ» قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة، فجعل بمعنى المرسل، فلم يكن بد من تثنيته، وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه، إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع، كما يفعل بالصفة والمصادر نحو صوم وزور قال:

السكنى إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخبر

وجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله:

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوجد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك، وللأخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا.

«أن أرسِلَ» بمعنى أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك أن أفعل كذا لما في الإرسال من معنى القول، كما في المناداة في الكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق»[2].

وفي تفسير آخر: "«إِنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي إننا وإن كنا اثنين فنحن شخص واحد يحمل إليك رسالة الله، «أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» فهذه هي رسالتنا التي أمرنا الله بتبليغها إياك وهي أن تدع بني إسرائيل وشأنهم لنمضي بهم إلى حيث يشاء الله بعيدا عن محيط ملكك وسلطانك"[3].

وما يمكننا أن نطلقه على طبيعة التصوير هذه هو أنها تأتي في مرحلة متقدمة فهي على الأقل اللقاء الثاني أو الثالث مع فرعون، وهذا ما ستكشف عنه الصور جميعها، وهي مشتركة في بناء الحدث.

---

[1]-سورة الشعراء: 16-17.

[2]-الزمخشري، الكشاف، (110/3).

[3]-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (78/19).

1-4-في سورة الزخرف:

وفي سورة الزخرف فقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. فهذه دلالة واضحة على أن موسى قد تعود على لقاء فرعون فزالت عنه تلك المخاوف وغاب عنه الارتباك، فأصبح يعلن عن رسالة ربه بكل صراحة ووضوح.

1-5-في سورة النازعات:

أما في سورة النازعات فقوله تعالى: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[2]. فهذا الموقف يكون في مرحلة متأخرة.

وبما أن لقاء موسى بفرعون ودعوته يعد أهم وأخطر لقاء كما ذكرنا من قبل، فقد أتى على مراحل متعددة ويمكن تصويرها كالآتي:

فما صورته سورة طه يعد هو اللقاء الأول «فقوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[3]. فهذا أسلوب لا صراحة فيه ولا مواجهة أبدا، وإنما هو إعلان عن مبادئ عامة.

أما في سورة الشعراء في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[4]. ففيه هنا صراحة ومواجهة في قولهما: «إِنَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، أي لست ربا كما تدعي وطلبهما بصراحة أن يرسل معهما بني إسرائيل.

وأما سورة الأعراف ففيها الصراحة التامة والجرأة الكاملة، فموسى الذي كان خائفا يقول بعدما تمرن وزال الخوف مخاطبا فرعون الملك الجبار: يا فرعون إني رسول من رب العالمين، وانظر إلى قوله: «رَسُولٌ مِن رَبِ الْعَالَمِينَ» وأنا جدير حقيق عليّ ألا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل نجد منتهى القوة والعزة»[5].

ولهذا كان لزاما علينا أن نقر بأن الحدث واحد ولكن المتعدد فيه هي المواقف، وهذا ما جعل كل سورة تستحوذ على الجزء الذي يتناسب وطريقة عرضها والأهداف التي رسمت لأجلها وهو ما سيبينه الجدول التالي:

---

(1)-سورة الزخرف: 46.

(2)-سورة النازعات: 18-19.

(3)-سورة طه: 48.

(4)-سورة الشعراء: 16-17.

(5)-محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص353-354.

السورة / الحدث	الأعراف	طه	الشعراء	الزخرف	النازعات
دعوته فرعون باسمه	يا فرعون	/	/	/	/
	إني رسول من رب العالمين	إنا رسولا ربك	إنا رسول رب العالمين	إني رسول رب العالمين	/
	حقيق علىّ أن لا أقول على الله إلا الحق.	/	/	/	/
طبيعة دعوة موسى	قد جئتكم ببينة من ربكم	قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى		/	/
	فأرسل معي بني إسرائيل	فأرسل معنا بني إسرائيل	أن أرسل معنا بني إسرائيل	/	هل لك إلا أن تزكى و أهديك إلى ربك فتخشى
نسبة تصوير الحدث	%60	%20	%10	%5	%5

تصوير الحدث في دعوته فرعون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-التكرار في مواجهة فرعون: (ذكر في ثلاثة مواضع)

2-1-في سورة الأعراف:

قال: ﴿قَالَ إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [1].

«قَالَ إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ» أي قال فرعون لموسى عليه السلام، إن كنت جئت مصحوباً ومؤيداً بآية من عند من أرسلك كما تدعي، والشرط بأن يدل على الشك في مضمون الجملة الشرطية أو الجزم بنفيها، «فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» وهذا شك آخر في صدقه بعد الشك في مجيئه بالآية[2].

إن طبيعة تصوير هذا الحدث تكشف لنا عن صراع محتدم بين موسى وفرعون، فموسى طلب من فرعون دون تردد أن يرسل معه بني إسرائيل ودليله معه. وكرد فعل مباشر وقوي من فرعون طلب منه أن يأتي بهذه الآية.

وإذا دققنا في طلب فرعون «فأت بآية» يمكننا أن نستشف منه بعض الدلالات.

أ-إن هذا الطلب لا يمكن أن يكون أول طلب يطلبه فرعون من موسى. فمن أبجدية المناظرات أن تكون الحجج بعد عرض الموقف وتوضيحه، ثم يتم الانتقال بعد ذلك إلى مدى موضوعية الحجج وتطابقها مع الدعوة.

ب-إن هذا الطلب يكشف لنا عن طريق مسدود وصل إليها التفاوض بين موسى من جهة وفرعون من جهة أخرى.

من خلال الدلالتين السابقتين نقر بأن الموقف الذي اتخذه فرعون مع موسى يمثل آخر جذور الصراع وبه تبدأ نهاية فرعون.

"وهنا لم يعرض لما طلبه موسى في شأن بني إسرائيل وإرسالهم معه، بعد إطلاقهم من يده وهو المطلب الأول، بل هو كل ما طلب من فرعون في هذا الموقف، وإنما كان همه كله هو الاطلاع على ما عند موسى من آيات، و لم يمهل موسى فرعون بل طلع عليه فجأة لما ملأ عليه وجوده كله هولا وفزعا ودهشا.

---

[1]-سورة الأعراف: 106-112.

[2]-محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (44/9)، دار المعرفة، بيروت، دت.

لقد كان فرعون ينتظر من موسى شيئا من الحوار والجدل والأخذ والرد فيما سيعرضه عليه من معجزات... كأن يستحضرها أولا ويتخير لها الزمان والمكان ثانيا، فما كان مع موسى شيء يتوقع أنه تخرج منه معجزة، وإلا فأين أدوات هذه المعجزة؟ وأين أجهزتها ومعداتها والأيدي التي تعمل فيها؟ ولكن هكذا كان تدبير الحكيم العليم وتقديره،«لقد ألقى موسى بكل ما معه دفعة واحدة، حتى يضرب فرعون الضربة القاضية التي لا تدع له فرصة يتلقط فيها أنفاسه، وواحدة من هاتين الطريقتين تكفي لكي يسلم لها كل جبار عنيد... ولكن كان فرعون أكثر من جبار عنيد"[1].

وهنا لم يتكلم فرعون من شدة الغيظ والألم وتكلم جلساء فرعون والمنافقون وما أكثرهم فقال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم... وقالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم"[2].

ويبقى هذا الموقف غامضا، وهذا ما يستدعي الوقوف على ملابساته من خلال السور الأخرى.

2-2-في سورة طه:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى. وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى. قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى﴾[3].

هذا الموقف والأخذ والرد بين موسى وهارون من جهة وفرعون من جهة أخرى، ففرعون قال: «فمن ربكما يا موسى» إنه لا ينسب إلى رب، فإذا كان لموسى وهارون رب غير فرعون فاليقولا له من هو؟ ولذا لم يقل فرعون من ربي هذا؟ بل قال من ربكما أنتما.

وكان جواب موسى:"«قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»، وفي هذا الجواب تحدي لفرعون، وأنه ليس ربا بهذا الادعاء الكاذب الذي يدعيه ويقبله من قومه. ربنا خالق كل شيء، ومدبّر كل شيء، فهل لك يا فرعون في هذه المخلوقات من خلقته ودبرت أمره وقوله: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» أي خلق كل مخلوق على الصورة التي بها يستقيم وجوده، فكل شيء مخلوق بتقدير وحساب.

---

[1] -عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (9/449-450).

[2] -محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص358.

[3] -سورة طه: 49-57.

وقوله: ثم هدى هو من تمام الخلق حيث أودع الخالق العظيم في كل مخلوق ما يهتدي به إلى حفظ ذاته وبقاء نوعه.

«قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى» ولم القرون الأولى؟ وهل فرغت يا فرعون من النظر في نفسك وفيمن حولك وما حولك... قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى"[1].

وإذ حاولنا أن ندقق في بعض الأشياء الجديدة التي صورت بها سورة طه الحدث، فإنه يمكننا أن نقف على ما يلي:

"خصّ موسى بالنداء، مع أنه وجه الخطاب إليهما لظنه أن موسى عليه السلام هو الأصل في حمل رسالة الحق إليه وأن هارون هو وزيره ومعاونه، وأنه لخبثه ومكره تجنب مخاطبة هارون لعلمه أنه أفصح لسانا من موسى عليه السلام"[2].

قال صاحب الكشاف: "خاطب فرعون الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما، وهو موسى لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه، ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته –أي فسقه– على استدعاء موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ"[3].

كما نلاحظ بعض التريث وقبول الآخر في هذا الموقف ففرعون هنا يستفسر عن هذا الرب ولكن رد موسى كان بإعطاء أهم صفات الله وهي صفة الخلق، إذ لا يعقل أن يكون رب بدون خلق، كما ذكره بنعم الله التي أسداها على عباده.

وهذا الموقف كسابقه بقي عاجزا عن تحديد ملامح الحدث الحقيقية مما يستدعي النظر في السور الأخرى.

2-3-في سورة الشعراء:

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ

---

[1] –عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (16/797-798).

[2] –محمد السيد طنطاوي، التفسير الوسيط، (16/44).

[3] –الزمخشري، الكشاف، (3/67).

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ. قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [1].

إن أهم شيء يلاحظ على سورة الشعراء هو أنها قد حوت أول لقاء بين موسى وفرعون، وما يدعم هذه الملاحظة هو تذكير فرعون موسى بطفولته وبذنبه، «قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» أي بعد أن ربيناك في بيوتنا و لم نقتلك في جملة من قتلنا وأنعمنا عليك بنعمتنا ردحا من الزمن تقابل الإحسان بكفران النعمة وتواجهنا بمثل تلك المقالة.

روي أنه لبث فيهم ثماني عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة.

«وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» أي وقتلت ذلك القبطي الذي وكزته وهو من خواصي فكنت من الجاحدين لنعمتي عليك من التربية والإحسان إليك، فأجاب موسى عن الأمر الثاني وترك أمر التربية لأنها معلومة مشهورة ولا دخل لها في توجيه الرسالة... فإن الرسول إذا كان معه حجة ظاهرة على رسالته تقدم بها إلى المرسل إليهم سواء أكانوا أنعموا عليه أم لم ينعموا [2].

وقد ذكر فرعون ذلك لأنه قدر أن هذه الكلمات ستصيب موسى في الصميم وأنها ستخفض رأسه في حضرته، إذ أنه سيتذكر من هذه الكلمات طفولته وضياعه ووقوعه بيد فرعون، ثم إنه ستطلع عليه من هذا الكلام صورة مخيفة لفعلته التي فعلها وهي قتل المصري، وإن فرعون إذا لم يأخذه بجرأته عليه أخذه بهذا المصري الذي قتله، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين وهكذا يجيء المشهد في كل من سورتي الأعراف والشعراء على نسق واحد لم يقع فيه أي خلاف بحرف أو كلمة أو تقديم أو تأخير، وهذا أمر يلفت النظر ويدعو إلى التأمل والبحث، حيث لا يلزم القرآن الاحتفاظ بصورة النظم إلا عن قصد ولغاية مرادة، لا يتحقق إلا بهذا الالتزام، بحيث لو اختلفت صورة النظم قليلا أو كثيرا لفات الغرض و لم تتحقق الغاية.

فإن من مألوف النظم القرآني أن ينوع الأساليب ويغاير بينها، إذا لم يكن في هذا التنويع وتلك المغايرة ما يجور على المعنى أو ينتقص شيء منه... أي شيء... وإلا فإن القرآن يكرر اللفظ ويعيده كما هو ولو عشرات المرات كما في قوله تعالى: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» من سورة الرحمن التي تكررت فيها

---

[1] – سورة الشعراء: 18-33.

[2] – أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (19/51-52)، دار إحياء التراث، بيروت، دت.

هذه الآية بنظمها هذا إحدى وثلاثين مرة، والسؤال هنا ما سرّ التزام القرآن بهذا النظم الذي جاء على الصورة في كل من سورتي الأعراف والشعراء، والجواب –والله أعلم– أن المشهد الذي وقع في كل من العصا واليد ظل على صورة واحدة ثابتة لم يطرأ عليها تغيير من أول ما وقعت إلى أن رفعت.

فالعصا... ألقى بها موسى من يده... فإذا هي في الحال ثعبان مبين مرة واحدة لم تتحول من حال إلى حال، ولم تتغير من صورة إلى صورة كأن تبدأ صغيرة –كما هو المتوقع عادة في كل عمل إنساني– ثم تظهر آثار التفاعل فيها،فتكبر شيئا فشيئا حتى تبلغ غايتها، واليد أخرجها موسى من جيبه فإذا هي كوكب ذري متألف، مرة واحدة هكذا فثبات المعجزتين –العصا واليد– على هذا الوجه الذي ثبتا عليه، اقتضى أن يكون النظم المصور لهما والضابط لوقوعهما ثانيا لا يتغير قليلا أو كثيرا.

وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن كما أنه وجه آخر من وجوه صدقه في نقل الأحداث وضبطها"[1].ويمكننا الآن أن نبرز الحدث من خلال الجدول الآتي:

[1] –عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن الكريم، (9/128-130).

السورة / الحدث	الأعراف	طه	الشعراء
تذكير فرعون موسى بطفولته	/	/	قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت ... عبدت بني إسرائيل
الاستفسار عن طبيعة الرب	/	قال فمن ربكما يا موسى، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى... تارة أخرى	قال فرعون وما رب العالمين ... المسجونين
طلبه البينة ورد فعله من ذلك	قال إن كنت جئت بآية ... ساحر عليم	ولقد أريناه آياتنا كلها ... وإن يحشر الناس ضحى	قال فأت بها، إن كنت من الصادقين ... لساحر عليم
نسبة تصوير الحدث	%20	%40	%40

تصوير الحدث في مواجهة فرعون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-في مواجهة السحرة: (ذكر في ثلاثة مواضع)

3-1-في سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ. وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [1].

قوله:﴿ لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي ساحر يقوم سحره على علم ومعرفة، وهو من أجل هذا مصدر خطر عظيم على فرعون وعلى مكانته في قومه"[2].

وفي قوله:﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تصريح بالنتيجة الهائلة التي تتقرر من إعلان تلك الحقيقة إنها الخروج من الأرض، إنها ذهاب السلطان، إنها إبطال شرعية الحكم[3].

وفرعون بقوله :﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يريد منهم موقفا حاسما ورأيا قاطعا وأمرا نافذا في هذا الموقف، الذي لا يحتمل غير المواجهة الحازمة الحاسمة[4].

وقولهم: ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ هذا هو الحل الذي قرره ملأ فرعون وحاشيته، فهم يريدون إبطال ما جاء به موسى بمثله فإذا تمكنوا من ذلك فقد حققوا غايتين الأولى لخاصتهم-السحرة-والثانية لفرعون، فأما التي هي لهم فزيادة تمكينهم في بيت فرعون وإظهارهم مدى قدرهم وتفوقهم، وأما تلك التي لفرعون فهي ليست إبطال سحر موسى وإنما إبطال الدعوة التي يحملها واختار -العصاواليد- كدليل عليها.

وقوله: «وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وهذه الآية تدعم الرأي الذي ذكرناه آنفا، فالسحرة لا يريدون مقابلة من دون عطاء، ولا عملا

---

(1)-سورة الأعراف: 109-122.

(2)-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (451/9).

(3)-سيد قطب، في ظلال القرآن، (1348/9).

(4)-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ، (451/9).

من دون جزاء، إنهم لا يفكرون إلا في المال والقربى، والمال أولى ولهذا طلبوا من فرعون أول شيء «لنا لأجرا».

"ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم ووعدهم مع الأجر القربى منه، زيادة في الإغراء وتشجيعا على بذل غاية الجهد وهووهم لا يعلمون أن الموقف ليس موقف الاحتراف والبراعة والتضليل، إنما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة القاهرة التي لا يقف لها الساحرون ولا المتجبرون"[1].

وأمام طمع السحرة وخشعهم ، واغترارهم بمدى فاعلية سحرهم يبدأ الامتحان الفاصل لفرعون- وإن كان ليس طرفا فيه- كيف لا وهو الذي به سيتقرر مصيره، أحكم جائر وسلطان دائم، أم شيء آخر لم يتمكن حتى فرعون ذاته من توقعه أو إدراك أبعاده.

وهنا لم يتمالك السحرة أنفسهم فقالوا لموسى «إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ»، وتعبيرهم هذا دليل على مدى غرورهم إذ طلبهم من موسى الاختيار بين البدء من عدمه كان بمثابة إعلان حرب نفسية على موسى قبل أن تتحول إلى حرب فعليه، أضف إلى هذا، إنها بعث لروح فرعون ونفخ فيها فيزداد إعجابا إلى إعجاب وغرورا إلى غرور.

ثم يأتي رد موسى الحاسم "ألقوا" فطلب منهم أن يكونوا هم أول من يبدأ "وهذا أدب من أدب الحرب، أعطوه الفرصة فأعطاهم هو إياها، ولقد جاءوا بأدوات كأدوات موسى، عصي وحبال أشبه بالعصي، كما جاء هو بعصاه فتلك هي أصول منازلة الخصم لخصمه أن يحاربه بمثل سلاحه...كما أن موسى كان واثقا من تأييد الله له، ومن نصره في هذا الموقف...ولو بدأ هو الجولة وضرب السحرة ضربته وأوقع بهم الهزيمة من قبل أن يعطوا ما عندهم لكان في نصره الذي أحرزه مقال لقائل أن يقول، إنهم لو أظهروا السحر الذي في أيديهم أولا لشلوا حركة موسى وضربوه الضربة القاضية"[2].

أمام صفعة موسى هذه بطلبه منهم البدء تنكروا لذلك واعتبره إضعافا لهم وإسقاطا من قيمتهم ولذلك كان رد فعلهم عنيفا، عبر بذلك القرآن صراحة:﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ ويعلق سيد قطب على هذا قائلا:"وحسبا أن يقرر القرآن أنه سحر عظيم، لندرك أي سحر كان، وحسبنا أن نعلم أنهم سحروا أعين الناس» وأثاروا الرهبة في قلوبهم "واسترهبوهم" لنتصور أي سحر كان، ولفظ "استرهب" ذاته لفظ مصور، فهم استجاشوا إحساس الرهبة في الناس وقسروهم عليه قسرا"[3].

---

[1]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (1349/9).

[2]-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآن للقرآن، (454/9).

[3]-سيد قطب، في ظلال القرآن ، (1349/9).

وأمام هذا السحر العظيم -على حد تعبير القرآن الكريم- يوحي الله لموسى بأن يلقي عصاه. ولفظ أوحينا هذا يطلب منا الوقوف عليه إذ يبدوا أنه ملئ بالدلالات التي يمكننا أن نستفيد منها في التحليل، وأهم دلالة يمكننا أن نقف عليها هو أن موسى كان في حاجة إلى مدد رباني يمكنه من مواصلة المعركة، و سبب هذه الحاجة هو طبيعة السحر الذي أتى به السحرة، ولهذا كان وحي الله إليه بإلقاء العصا فقط، وهو الذي سيتكفل بالأشياء التي تأتي بعدها.

«فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» أي تبتلع كل هذا الافتراء وتبطل كل هذا الباطل، فإذا هو هباء في هباء، وينجلي غبار المعركة»[1].

وأمام الهزيمة النكراء والخسارة الفادحة لم يكن من السحرة بد سوى أن يخروا ساجدين ليس لموسى وإنما للشيء الذي يحمله وجاء من أجله وهو السجود لرب العالمين، «إذ أن تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلاثمائة بعير، فلما ابتلعها ثعبان موسى عليه السلام وصارت عصا كما كانت، قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن السحر، بل هو أمر إلهي»[2]. ولم يقتصر إيمانهم بموسى محصورا على سجدوهم بل نطقوا ذلك بأفواههم بأن أعلنوا أمام الملأ بأنهم قد آمنوا برب موسى وهارون، وفي هذا انتصار لموسى وخسارة لفرعون فماذا سيكون رد فعله؟

إن الطبيعة التصويرية لهذا الحدث كما نقلتها لنا سورة الأعراف تجعلنا نحس ببعض الأشياء الخفية التي اخترلها المقال وتكفل بها السياق، وهي:

-في قوله ﴿ قَالَ الْمَلَأُ﴾ الملأ هنا طرف فاعل ومحرك للأحداث، وهذا شيء غير مسبوق، فهم لم يعتادوا أن يتكلموا أمام فرعون، بل جرت عادتهم على سماع الأوامر وتنفيذها أو أن كلامهم هذا لم يكن لفرعون وإنما كان فيما بينهم.

-قولهم «سَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ» تُخيّل لهم صنيع موسى على أنه سحر ولهذا قالوا إن وسيلته في تحقيق غايته هي السحر فقط ولهذا كرروا لفظ "بسحره".

-قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ هذه الآية تؤكد لنا الفرضية الأولى وهي كون الملأ هنا طرفا فاعلا في الحدث.

-قول موسى « أَلْقُوا» قول صريح ينم عن شجاعة فائقة وجرأة غير مسبوقة.

---

[1]-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (455/9).

[2]-فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، (214/4).

-قوله «وَأَوْحَينَا» دَليل على الخوف الذي تملك موسى الشيء الذي استدعى طمأنة ربه له.

من خلال النقاط السالفة الذكر يتبين لنا أن هذا الموقف يندرج ضمن حلقة أخيرة، وهو الشيء الذي يتطلب منا الوقوف على الحلقات السابقة له.

3-2-في سورة طه:

قال:﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى. فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى. قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى. فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى. قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى. فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى. قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [1].

إن أول شيء يلاحظ هو المساجلة الكلامية بين موسى وفرعون. ففرعون هنا يخاطب موسى قائلا: «قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى»، ويلاحظ أن هذا الرأي ليس من فرعون بل هو ما قدمه له خبراؤه وأعوانه كذريعة له يمكنه من خلالها مواجهة موسى ولو إلى حين، ثم يأتي بعد ذلك رد موسى على طلب فرعون بأن حدّد الموعد بيوم الزينة والوقت ضحى. وتحديده لوقت الضحى بيان ودليل على أهميته «حتى يكون المكان مكشوفا والوقت ضاحيا»[2].

وقوله: «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى» هنا"يحمل السياق في هذا التعبير كل ما قاله فرعون وما أشار به الملأ من قومه، وبين ما دار بينه وبين السحرة، من تشجيع وتحميس ووعد بالمكافئات، وما فكر فيه وما دبر هو ومستشاروه بجمله في جملة «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى» وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متواليات، ذهاب فرعون. وجمع كيده. والإتيان به"[3].

---

[1]-سورة طه: 57-70.

[2]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (2340/16).

[3]-المرجع نفسه.(2341/16)

ويأتي رد موسى قائلا: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾، إن كل ما معهم هي مفتريات وأباطيل قد لفقوها وأخرجوا منها تلك الألاعيب التي تخدع، ولكنها لا تنفع وقوله «فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ» أي يأخذكم بعذاب يستأصلكم وأصل السحر السحت، وأصل السحت ما يستأصل من قشر الرأس، ومنه السحت وهو الحرام الذي يهلك صاحبه ويورده النار"[1].

وأمام هذه النصيحة يختلف السحرة فيما بينهم﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ويعلق سيد قطب على هذا بقوله: "الكلمة الصادقة تلمس بعض القلوب وتنفذ فيها ويبدو أن هذا الذي كان، فقد تأثر بعض السحرة بالكلمة المخلصة، فتُلجلج في الأمر وأخذ المصرون على المبارات يجادلونهم همسا خفية أن يسمعهم موسى" [2].

ثم استقر رأيهم على أنه سحر وينبغي مجابهته بسحر مثله.

وقوله: «فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى» فإن هذه الآية تفسير لما في سورة الأعراف في قوله: «وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ» فعظمة سحرهم هي التي أربكت موسى.

وقوله: «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا» هذه الآية هي الأخرى تفسر سبب الوحي الذي ذكرته سورة الأعراف في قوله: «وأوحينا».

أما قولهم «آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى»، فهذا موقف مبدئي اتخذوه نتيجة ارتباكهم لما رأوا من عظمة المعجزة، ومن صعوبة الموقف.

ولو حاولنا أن نسقط سورة طه على سورة الأعراف فيما يتعلق بهذا الحدث نجد أنهما يتكاملان فما أسقطته سورة الأعراف أتت به سورة طه والعكس صحيح.

وإذا كنا قد حكمنا في المباحث السابقة على أن سورة طه تتوافق وطبيعة السرعة والقوة في التصوير فإن هذا الموقف يضيف دليلا آخر للأدلة السابقة فقوله: «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى» هذه السرعة لا تحتاج إلى تعليق.

كما أن سورة طه أتت مخاطبة للنبي محمد ﷺ ومقارنة له وضعه بوضع موسى ولهذا فقد حوت التصوير النفسي لموسى أثناء لقائه بالسحرة. وهو ما كان النبي ﷺ في حاجة إليه على خلاف سورة

---

[1]-عبد الكريم الخطيب،التفسير القرآني للقرآن، (803/16).

[2]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (2341/16).

الأعراف التي تكفلت بتصوير نفسية قوم فرعون، وهو الشيء الذي يتوافق مع نفسية المؤمنين المخاطبين في سورة الأعراف.

3-3-في سورة الشعراء:

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ. فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [1].

إن سورة الشعراء قد حوت أشياء لم تحوها السورتان السابقتان بعد مناظرته الكلامية مع موسى فقوله: «لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» "يبدو إقراره بطبيعة المعجزة وإن كان يسميها سحرا. فهو يصف صاحبها بأنه ساحر "عليم"، ويبدو ذعره من تأثر القوم بها، فهو يغريهم به «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ» ويبدو تضعضعه وتهاويه وتواضعه للقوم الذي جعل نفسه لهم إلها فيطلب أمرهم ومشورتهم "فَمَاذَا تَأْمُرُونَ" ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون"[2].

كما أن سورة الشعراء تصف الأمور البروتوكولية التي حدثت قبل اللقاء الحاسم فقوله: «فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» تفسير لقوله تعالى: «يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى»، كما أنها أظهرت افتخار السحرة.

فبعد أن ألقوا حبالهم وعصيهم قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون وانتهت المعركة بنفس الخاتمة التي ذكرت في المواضع السابقة.

ومن هنا نقول إنه ولحد الآن قد تم تصوير هذا الموقف من خلال ثلاث جهات:

-فسورة الأعراف تكفلت بتصوير حال قوم فرعون وملإه.

-في حين سورة طه تكفلت بتصوير حال موسى.

---

[1]-سورة الشعراء: 34-48.

[2]-سيد قطب، في ظلال القرآن، (19/ 2594).

-أما سورة الشعراء فقد تكفلت بتصوير حال السحرة.

ولأي قارئ أن يجمع هذه الصور الثلاث ليكون بها لوحة فنية أو مشهدا مسرحيا، إنها الدقة المتناهية للقرآن الكريم في عرضه للأحداث. وبقي لنا أن نشير بأن هذا الحدث قد ذكر في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ والملاحظ عليه انه قد أضاف بعض اللقطات التي يمكن إضافتها للمشاهد السابقة كما أنه اعتمد الاختصار الذي يتوافق مع طبيعة السرد في سورة يونس.

والجدول الآتي يوضح هذا الموقف:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة / الحدث	الأعراف	طه	الشعراء
مناظرة مفصلة الإجراء	قال الملأ... لساحر عليم	/	قال للملأ ...ساحر عليم
	يريد أن يخرجكم من أرضكم ..... فماذا تأمرون	/	يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون
	أرجه وأخاف وأرسل	/	أرجه وأخاف وابعث
	يأتوك بكل ساحر عليم	/	يأتوك بكل سحار
	إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين	/	أئن لنا لأجرا، إن كنا نحن الغالبين
ردود فعل جميع الأطراف	قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين	قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين	قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون
	سحروا أعين الناس، واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم	فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى	فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون أنا لنحن الغالبون
ايمان السحرة	آمنا برب العالمين رب موسى وهارون	آمنا برب هارون وموسى	آمنا برب العالمين رب موسى وهارون
نسبة تصوير الحدث	%40	%20	%40

تصوير الحدث في مواجهة السحرة

4-التكرار في بقية أحداث القصة:

4-1-رد فعل فرعون بعد إيمان السحرة:

ذكر هذا في ثلاث سور:

-في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [1].

-في سورة طه: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى. قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [2].

-في سورة الشعراء: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ. فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ. قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [3].

وما يلاحظ على هذا الحدث هو أنه قد صور انفعال فرعون الشديد إثر النتيجة غير المتوقعة ، وتصرف السحرة الذين آمنوا بموسى . كما قد صور ردود فعل السحرة على التهديدات التي أمطرهم بها فرعون.

ولهذا فإن فرعون رد على ذلك بعبارات متعددة، تكفلت كل سورة من السور الثلاث بجزء منها كيف لا وهو الذي يقول أنا ربكم الأعلى ينهار أمام موسى وسحرته،ثم إن ملكه في طريق الزوال، فلا غرو إذا إن هددهم وكرر تهديده، وأضاف إليه أشياء أخرى.

---

[1]-سورة الأعراف: 123-125.

[2]-سورة طه: 71-73.

[3]-سورة الشعراء: 39-50.

أما السحرة الذين أمنوا بموسى، فإنهم ونتيجة لما كانوا عليه من تسلط فرعون رأوا الحقيقة ماثلة أمام أعينهم فما كان منهم إلا أن يؤمنوا، ويجابهوا تهديدات فرعون بردود تتوافق وطبيعة التهديد الذي يتلقوه منه.

ومن هنا يمكن للقارئ أن يجمع السور الثلاث لتشكل جميعها الحدث.

4-2-رد فعل القوم بعد إيمان السحرة:

ذكر هذا في موضعين:

-في سورة الأعراف: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ. قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [1].

-في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ. وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [2].

هذان الموضعان يعبران عن ردود فعل القوم وكل منهما تكفل بطرح جانب معين ولهذا فلا فائدة من إعادة شرح كل منهما.

4-3-الإئتمار بموسى لقتله:

ذكر هذا بصورة واضحة ومفصلة في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ. وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِي. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ

---

[1]-سورة الأعراف: 127-129.

[2]-سورة غافر: 23-27.

مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ. الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [1]. وهذا الموضع لم يتكرر ولهذا فهو خارج عن محل الدراسة.

4-4-انطلاق بني إسرائيل وغرق فرعون:

ذكر هذا الموقف في تسعة مواضع وهي:

1-في سورة الأعراف: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [2].

2-في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [3].

3-في سورة الشعراء: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ. فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ. فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ

---

[1]-سورة غافر: 28-46.

[2]-سورة الأعراف: 136-137.

[3]-سورة طه: 77-79.

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي. فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [1].

4-في سورة القصص: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [2].

5-في سورة الإسراء: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا. وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [3].

6-في سورة يونس: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [4].

7-في سورة الزخرف: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [5].

8-في سورة الذاريات: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [6].

9-في سورة الدخان: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ. وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ. فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ. فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ.

---

[1]-سورة الشعراء: 52-68.

[2]-سورة القصص: 39-40.

[3]-سورة الإسراء: 103-104.

[4]-سورة يونس: 90-92.

[5]-سورة الزخرف: 55-56.

[6]-سورة الذاريات: 38-40.

وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرَقُونَ. كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ. وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ. مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ [1].

إن هذا الحدث قد تعددت مواضعه في القرآن الكريم أكثر من غيره وهذا بطبيعة الحال راجع إلى الأهمية التي يحتوي عليها، إذ مضمونه عاقبة الطغاة والكافرين، وهذه النقطة بالذات هي التي كان النبي ﷺ بحاجة إلى ترسيخها في قلوب المؤمنين فيتعظوا بالأقوام الذين سبقوهم.

كما نشير في هذا المقام أيضا إلى أن كل سورة قد عرضت جزءا يتوافق مع طبيعة سردها، وما لوحظ من تشابه أحيانا فإن ذلك راجع إما للتذكير والوعظ أو لإظهار بلاغة وإعجاز القرآن.

---

[1]-سورة الدخان: 17-31.

5-إعادة ترتيب أحداث القصة

إنّ الجزء المتعلق بقصة موسى بعد الدعوة لم يتكرر بنفس القدر الذي تكرر به سابقه، خاصة بعد غرق فرعون، وهذا راجع لكون الذي أتى في هذه المرحلة مجموعة مواعظ ودروس للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يستفيد منها في دعوته. فذكر مصاحبة موسى للخضر مثلا لم يكن إلاّ لغرس بعض المبادئ في نفس النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا ذكر مرة واحدة.

وإذا حاولنا أن نرتب الأحداث بدءا من دعوته فإنه يمكننا أن نجملها فيما يلي:[1]

- دعوة موسى فرعون.
- رد فعل فرعون.
- موسى والسحرة.
- الإئتمار بموسى لقتله.
- انطلاق بني إسرائيل وغرق فرعون.

أ-فدعوة موسى فرعون كانت بحق أهم وأخطر حدث في حياته. ولهذا كان تصويرها على مراحل معينة.

فسورة طه حوت أول لقاء بين موسى وفرعون، إذ قوله تعالى " إِنَا قَد أُوحِيَ إِلَينَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَى" لاصراحة فيه ولا مواجهة. وإنما كل ما في الأمر أن يفصحا له عن مبادئ عامة، كما أن هذا الموقف قد اشترك فيه هارون ـــ بل من الممكن أن الكلام هذا قد تبادر من هارون وليس من موسى إذ أن هذا الأخير لم يكن فصيحا.

أما في سورة الشعراء فقوله تعالى " إِنَا رَسُولُ رَبِ العَالَمِينَ أَنَ أَرسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" فموسى هنا قد تعود على لقاء فرعون لكن ليس إلى الحد الذي يمكنه من مصارحته ، وإبداء استعداده للمواجهة.

أما في سورة الأعراف فقوله تعالى "إِنِي رَسُولٌ مِن رَبِ العَالَمِينَ حَقِيقٌ،قَد جِئتُكُم بَيِنَةٍ مِن رَبِكُم فَأَرسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ" فهذا الموقف فيه صراحة تامة وجرأة فائقة اكتسبها موسى من خلال تلك اللقاءات المتكررة مع فرعون.

ب- أما رد فعل فرعون فإنه أتى على مراحل متعددة.

---

[1] أنظر عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص155، مكتبة القدسي، ط3، دت.

وأول ردود أفعاله قد صورته سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [1].

فتذكير فرعون لموسى بتربيته وبذنبه الذي ارتكبه كان أول لقاء معه بعد هروبه إلى مدين.

أما اللقاء الثاني فقد صور لنا استفسار فرعون عن هذا الرب وهو ما تكفلت به كل من سورة طه في قوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [2].

وسورة الشعراء في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [3].

أما اللقاء الثالث فهو طلب فرعون للبينة التي يحملها موسى وتكفلت به السور الثلاث الأعراف طه والشعراء.

ففي سورة الأعراف: ﴿إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4].

وفي سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [5].

وفي سورة الشعراء: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [6].

كما كانت لفرعون ردود فعل أخرى من بينها:

استخفاف فرعون بموسى: وصور هذا الموقف في سورتين

---

(1)-سورة الشعراء: 18-21.

(2)-سورة طه: 49-55.

(3)-سورة الشعراء: 23-28.

(4)-سورة الأعراف: 106.

(5)-سورة طه:56.

(6)-سورة الشعراء: 30-31.

- في سورة الزخرف: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[1].

- في سورة النازعات: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى. فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى. فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[2].

ج- **أماموقف موسىمع** السحرة فقد تم تصويره من جوانب مختلفة، وفي مواضع متعددة.

فسورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوافَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[3]. فقد تكلفت هذه السورة بتصوير حال قوم فرعون وملاه ـــ فانظر إلى قوله " قَالَ الْمَلَأُ " " سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ "

أما سورة طه فقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[4].

فقد صورت حالة موسى والرعب الذي تملكه جراء قوة السحر.

أما سورة الشعراء فقوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ. فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[5].

بالإضافة إلى هذا فقد صورت إيمان السحرة كذلك بصور مختلفة.

أما رد فعل فرعون بعد إيمان السحرة فقد تعدد هو الآخر إذ أنه لم يستطع أن يتحمل النتيجة ولهذا فقد أمطر السحرة بوابل من التهديدات.

---

[1]-سورة الزخرف: 54.

[2]-سورة النازعات: 22-26.

[3]-سورة الأعراف: 109-116.

[4]-سورة طه: 66.

[5]-سورة الشعراء: 38-42.

في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [1].

في سورة طه: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى. قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[2].

في سورة الشعراء: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[3].

أما رد فعل القوم بعد إيمان السحرة فقد تكفلت ببسطه سورتان أخذت كل منهما الجزء الذي يتناسب مع طبيعة سردها وهما:

سورة الأعراف: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ. قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4].

سورة غافر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ. وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [5].

أما انطلاق بني إسرائيل وغرق فرعون فقد ذكر في تسعة مواضع.

---

[1]-سورة الأعراف: 123-125.

[2]-سورة طه: 71-73.

[3]-سورة الشعراء: 49-50.

[4]-سورة الأعراف: 127-129.

[5]-سورة غافر: 23-27.

- في سورة الأعراف: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[1].

- في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [2].

- في سورة الشعراء: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ. فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ. فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ. فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [3].

في سورة القصص: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [4].

في سورة الإسراء: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا. وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [5].

في سورة يونس: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ

---

[1]-سورة غافر: 136-137.

[2]-سورة طه: 77-79.

[3]-سورة الشعراء: 52-68.

[4]-سورة القصص: 39-40.

[5]-سورة الإسراء: 103-104.

وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِـــدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [1].

في سورة الزخـــرف: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [2].

في سورة الدخان: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ. وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ. فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ. فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ. وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرَقُونَ. كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ. وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ. مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [3].

في سورة الذاريات: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [4].

ويمكننا الآن أن نقوم بإطلالة ولو مختصرة لأهم الأحداث والقضايا المتبقية في قصة موسى.

أ- رغم غرق فرعون ورغم الآيات البينات التي أتى بها موسى إلا أنّ لصوق الوثنية على قلوب بعضهم كان الصفة الملازمة لهم، ويصور القرآن العديد من مواقفهم في كثير من السور.

في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [5].

في سورة الأعراف: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا

---

[1]-سورة يونس: 90-92.

[2]-سورة الزخرف: 50-52.

[3]-سورة الدخان: 17-31.

[4]-سورة الذاريات: 39-40.

[5]-سورة الأعراف: 139-140.

قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [1].

في سورة طه: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى. وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [2].

في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [3].

ب – ذهاب موسى عن بني إسرائيل لميقات ربه وكتابة الله تعالى له ألواحا متضمنة الوصايا التي يطلب إلى بني إسرائيل العمل بها.

ذكر هذا الموقف في سورة الأعراف: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [4].

جـ– إتخاذ بني إسرائيل العجل إلها يعبدونه ذكر في المواضع التالية.

---

[1]–سورة الأعراف: 159-160.

[2]–سورة طه: 80-82.

[3]–سورة البقرة: 61.

[4]–سورة الأعراف: 142-147.

في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (54) [1].

في سورة الأعراف: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِقَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [2].

في سورة النساء: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [3].

في سورة طه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [4].

د- أمر الله بني إسرائيل على لسان موسى بدخول الأرض المقدسة هذا الموقف ذكر في سورة المائدة.

---

[1]-سورة البقرة: 54.

[2]-سورة الأعراف: 148-154.

[3]-سورة النساء: 153.

[4]-سورة طه: 18-21.

هـ- بنو إسرائيل ومسألة البقرة ذكر في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[1].

و- قصة قارون وموقف موسى بإزائه، وإيذاء موسى وإظهار الله تعالى براءته ذكر هذا الموقف في السور التالية:

في سورة القصص: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ. وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِيأَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ. فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍفَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ. وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

في سورة الأحزاب ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[3].

سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[4].

---

[1]-سورة البقرة: 67-71.

[2]-سورة القصص: 76-83.

[3]-سورة الأحزاب: 69.

[4]-سورة الصف: 5.

ز- إختيار موسى سبعين رجلا ذكر في سورة الأعراف: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[1].

حـ- العبد الصالح صاحب موسى ذكر في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا .فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا. وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾[2].

ط- ثناء الله تعالى على موسى ذكر في:

---

[1]-سورة الأعراف: 55.

[2]-سورة الكهف: 60-82.

- سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[1].

- سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ. وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- سورة مريم: 51-53.

[2]- سورة الصافات: 114-122.

الخاتمـــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعدّ ظاهرة التكرار في القصص القرآني من أهم القضايا التي شغلت الباحثين قديما وحديثا، وتبقى جذورها ممتدة إلى عصرنا الحالي، ولهذا تأتي دراستي لتحاول جاهدة المساهمة فيها قصد اتخاذ موقف منها أو على الأقل إثرائها، وانطلاقا من كل ما قدمته يمكنني أن أخلص إلى النتائج التالية.

* إن تحديد مفهوم عام لظاهرة التكرار في القرآن الكريم لم يكن بالأمر العسير على الدارسين بل على العكس من ذلك، فقد اتفقوا في غالبهم على تعريف محدد لها خاصة إذا علمنا أن هذه الظاهرة مما يدخل في كلام العرب وتشكل وحدها نسقا معرفيا يمكن الاطمئنان إليه.

* إن الإقرار بوجود التكرار في القرآن الكريم ضروري إذ أن له أغراضا لا يمكن لغيره من الأساليب أن يؤديها كما ينبغي أن يعط حقه من الدراسة والتحليل، ذلك أن النظرة السريعة واللمحة الخاطفة تؤدي في غالب الأحيان إلى تمييعه إن لم نقل إلى عدم جدواه في تكوين الخطاب القرآني، وهذا مما لا ينبغي أن يكون على الإطلاق.

* إن القصة القرآنية تختلف جذريا عن القصة الأدبية، فإذا كانت هذه الأخرى تخلق من أجل معالجة قضية مجتمعية يفترض الكاتب أو الأديب أنها مهمة وينبغي معالجتها أو من أجل تحقيق ترف فكري بعمل أدبي هو للإمتاع والمؤانسة أقرب منه لأي شيء آخر فإن القصة القرآنية لها مفهوم وأبعاد خاصة بها تتجاوز حدود العقل الإنساني، ولهذا فالمقارنة بينهما يعد إنقاصا من قيمتها.

* إن ربط ظاهرة التكرار بالقصة القرآنية يملي علينا بعض الحقائق التي ينبغي أن نسلم بها، وهي:

– إنه لا ينبغي ومن الآن فصاعدا أن نتكلم عن ظاهرة التكرار في القصة القرآنية وإنّما عن ظاهرة تعدد مواقع القصة القرآنية بين ثنايا السور.

– إن القصة التي تتعدد أحداثها بين ثنايا السور هي التي تواكب نفسية النبي صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل الدعوة، ويمكنها أن تقدم له المدد اللازم كلما احتاج لذلك.

– إن قصة موسى وظروف دعوته أشبه بكثير بتلك الظروف التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا فقد اختارت مواقع كثيرة لتكون بمثابة محطات نفسية يتزود منها.

– قد يتعدد حدث قصة واحدة ويذكر في سور كثيرة ويطرق من جوانبه المختلفة ومن زواياه المتعددة، في حين لا يكون لحدث آخر سوى إشارة خفيفة تأتي بين ثنايا سورة واحدة وفقط.

– إن الحدث ليس مقصودا لذاته وإنما للدّلالات التي يمكنه أن يحملها، حتى يساهم في تأييد النبي صلى الله عليه وسلم فيزيد في قوته ويرفع من معنوياته فيتمكن من مواصلة دعوته.

* إن الحدث لا يذكر وحده خاليا من أي ضابط، بل إن طبيعة تصويره ينبغي أن تتوافق مع طبيعة القصة ذاتها.

* قد يذكر في الحدث الواحد أدق التفاصيل وهذا راجع للأهمية التي يلعبها ذلك التفصيل في سير الأحداث.

* تفاوتت نسبة تعدد مواقع الأحداث بين السور،ولكن الملفت للانتباه هو أن دعوة موسى فرعون وغرق هذا الأخير قد كانا أكثرها تعدادا،ولعل هذا الأمر راجع لتبيين طبيعة الرسالة من ناحية وتبيين وخيم عاقبة الكفار من ناحية أخرى، وفي هذا تحذير غير مباشر من الله عز وجل للمسلمين فيتعظوا بالأقوام الذين سبقوهم .

ورغم النتائج المتوصل إليها، إلا أن هذا البحث يبقى مجالا خصبا لكل من كان له باع في هذا المجال، فيضيف إليه أشياء قد تكون أعمق بكثير من تلك التي توصلت إليها، وصدق الشاعر إذ يقول:

لكل شيء إذا ما تمّ نقصان...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: القرآن الكريم برواية حفص.

1. إبراهـــيم عوضين، البيان القصصي في القرآن الكريم، دار الأصالة، السعودية، ط2، (1410 هـــ-1990م).
2. أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، دار الفكر، دت.
3. أبو الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
4. أبـــو حاتم محمد حبان السبتي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، شرح وتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد محمد، دار الكتب العلمية.
5. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، (1370هـــ-1956م).
6. أحمد خلف الله، فن القصص في القرآن، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1965م.
7. أحمد كمال زكي، دراسات في النقد الأدبي، الشركة المصرية، مصر، ط1، 1997.
8. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار إحياء التراث، بيروت، دت.
9. الألوسي محمود البغدادي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، 1983.
10. ابـــن الأثير ضياء الدين (637هـــ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدري طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، (1404هـــ-1984م).
11. ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، (1405هـــ 1985م).
12. ابـــن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، (1987م).
13. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة، دار الجيل، بيروت، ط5، (1401هـــ-1981م).
14. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار الفرنسي للنشر، تونس، 1984.
15. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، (1303هـــ-1973م).

16. ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1402هـ-1982م).

17. ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الأندلس، بيروت، دت.

18. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دت.

19. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، (1400 هـ-1980م).

20. البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، سوريا، دت.

21. البيهقي، دلائل النبوة، تقديم وتحقيق عبد الرحمن عثمان، دار الفكر.

22. الثعالبي سيدي عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: ار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

23. الجاحظ: أبو عثمان عمرو ، البيان والتبيين، تحقيق: أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، (1408هـ-1988م).

24. جلال الدين السيوطي وجلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، دار الفيحاء، دمشق.

25. خالد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، دار الشهاب، باتنة، دت.

26. الخطابي، الرماني، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة.

27. الرازي ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، ط3، (1985م).

28. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصّحاح، دار الفكر العربي، بيروت، (1401هـ-1981م).

29. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، ط3، (1400هـ-1980م).

30. الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن غوامض التنزيل، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط 1، (1354هـ).

31. الزمخشري، المفصل في علوم اللغة، ص335، تقديم وتعليق: محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء علوم الدين-بيروت، 1990م.

32. السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، (1407هـ-1987م).

33. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1998م).

34. سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

35. سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، (1402هـ-1982م).

36. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط13، (1993).

-النقد الأدبي أصوله ومنهاجه، دار الفكر العربي، دت.

-في ظلال القرآن، دار الشروق، دت.

37. الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، إدارة البحوث العلمية، الرياض، (1403هـ-1983م).

38. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط7، دت.

39. الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دت.

40. الطبري بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق عليه: عواد المعروف وعصام وفارس الحلستاني، الرسالة، بيروت، ط1، (1414هـ-1994م).

41. طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، دار الفكر، دت.

42. طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة.

43. طول محمد، البنية السردية في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

44. عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب، بيروت.

45. عبد الصبور مرزوق، السيرة النبوية في القرآن الكريم، مكتبة رحاب، الجزائر، دت.

46. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

47. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، دت.

48. غانم قدوري أحمد، حكمة التكرار في القرآن الكريم، مجلة المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي، استامبول، ط1، (1998).

49. في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (1978م).

50. القنوجي أبو الطيب صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (1412هـ-1992م).

51. القرطبي أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، د.م.ن.

52. القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، (1385 هـ-1966م).

53. كمال عيد، فلسفة الأدب والفن، دار الأندلس، ط2، 1979م.

54. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، دت.

55. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ضبطه وصححه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1418هـ-1997م).

56. محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، مطبعة المدني، القاهرة، (1390هـ-1970م).

57. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، دت.

58. محمد شديد، منهج القصة في القرآن، شركة عكاظ، السعودية، ط1، (1404هـ-1984م).

59. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، (1995م).

60. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة، مصر، (2001).

61. محمد قطب، مناهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط8،(1413هـ-1993م)

62. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط7، (1979م).

63. محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، دار البلاغة، بيروت، (1985م).

64. المـــزروقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، ديوان الحماسة، تحقيق وشرح أحمد أمين، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (1411هـــ-1992م).

65. مصـــطفى عليان، بناء الشخصية في القصة القرآنية، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، (1413هـــ-1992م).

66. النسفي، تفسير النسفي، دار الفكر، دت.

67. هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: بالحاج سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، (1990م).

قائمة المعاجم والقواميس:

68. إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (1417هـــ-1996م).

69. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دت.

70. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دت.

71. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دت.

72. الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، (1986م).

73. عادل نويهض،معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1، (1403هـــ-1984م).

74. الفيروز بادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، دت.

75. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط2، (1401 هـــ-1981م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المواضيع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

رأس الآية	رقمها	الصفحة
-سورة البقرة-		
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ...﴾	54	117
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ...﴾	61	116
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾	71-67	116
﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ...﴾	132	37
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى...﴾	238	8
سورة آل عمران		
﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ...﴾	44	34
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾	19	37
﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...﴾	62	29
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾	104	8
﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا...﴾	188	13
سورة النساء		
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا...﴾	82	45
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾	132-131	12
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾	153	116
سورة المائدة		
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾	31-27	48-41-29
سورة الأنعام		
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ...﴾	83	49
سورة الأعراف		
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ...﴾	35	39
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾	59	37
﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾	65	37

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾	73	38
﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾	85	38
سورة الأنفال		
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ...﴾	8-7	4
﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ...﴾	42	29
سورة التوبة		
﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾	29	15-6
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...﴾	40	28
سورة يونس		
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ...﴾	92-90	114-108
سورة هود		
﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...﴾	44-42	27
﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ...﴾	49	35
﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى...﴾	103-100	37
سورة يوسف		
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ...﴾	4-3	42-27-22-14
﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾	16	44
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي...﴾	86	8
﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ...﴾	100	43
﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ...﴾	102	33
سورة الرعد		
﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ...﴾	5	16-7
سورة إبراهيم		
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾	6	58
سورة النحل		
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾	110	13

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الإسراء		
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِه...﴾	01	46
﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ...﴾	104-103	114-108
سورة الكهف		
﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ...﴾	25	45
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ...﴾	36-32	31
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى...﴾	82-60	118
﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ...﴾	64	22
سورة مريم		
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ...﴾	45-40	13
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى...﴾	53-51	118
سورة طه		
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى...﴾	73-9	83-81-80-75-70-63-62-55 -107-105-100-92-89-86- 116-115-113-112-111
سورة الأنبياء		
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا...﴾	66	49
﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾	97	48
سورة المؤمنون		
﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾	36	13-9
سورة النور		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ...﴾	62	5
سورة الشعراء		
﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى...﴾	68-1	94-89-88-72-38-35-11- 113-111-108-105-102
سورة النمل		
﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِه...﴾	12-7	83-75-73

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة القصص		
﴿نَتْلُو عَلَيْكَ...﴾	40-3	7-22-50-56-58-64-65-67-68-74-75-80-81-82-83-108-112-114
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ...﴾	46-44	34
سورة الروم		
﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ...﴾	45-44	12
﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ...﴾	49-48	6
سورة الأحزاب		
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ...﴾	7	39
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا...﴾	69	118
سورة الصافات		
﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ...﴾	122-114	118
سورة ص		
﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾	70	35
سورة غافر		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى...﴾	27-23	113-106
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ...﴾	28	50
﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ...﴾	39-38	13
﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ...﴾	61	16
سورة الشورى		
﴿فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾	48	16
سورة الزخرف		
﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾	46	89
﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ...﴾	56-55	108
سورة الدخان		
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ...﴾	31-17	109

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الذاريات		
﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ...﴾	40-38	114-108
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	37
سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً...﴾	17-16-15	36-11-9
﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ...﴾	45-43	36
سورة الرحمن		
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	13	2
سورة الواقعة		
﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	27	14
سورة الحشر		
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	18	16
سورة الصف		
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى...﴾	5	117
سورة التغابن		
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	14	8
سورة الطلاق		
﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ...﴾	1	40
سورة الحاقة		
﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ...﴾	2-1	14
سورة المدثر		
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	20-19	15-6
سورة الإنسان		
﴿كَانَتْ قَوَارِيرَ...﴾	16-15	9
سورة المرسلات		
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	15	14

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة النازعات		
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ...﴾	19-15	89-77
سورة القدر		
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	2-1	14
سورة القارعة		
﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾	2-1	14
سورة التكاثر		
﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	4-3	16-15
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾	6-1	5

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــــرس الأشعار

الشاعر	البيت		البحر	الصفحة
النابغة الجعدي	بحـــي هل يزجون كـــل مطية	أمـــام المطايا سيرها المتقاذف	الطويـــــل	66
ـــــــــ	السكـــن إليهـــا وخير الرسو	ل أعلمهـــم بنـــواحي الخـــير	الرجـــــز	88
ـــــــــ	لقد كذب الواشون ما فهمت	عندهم بسر ولاأرسلتهم برسول	الطويـــــل	88
أبو الطيب المتنبي	ولم أر مثـــل جـــيراني ومثلي	لمثلـــي عنـــد مثلهـــم مقـــام	الوافـــــر	7-4
ـــــــــ	نعـــم فاسلم قم اسلم ثم اسلم	ثـــلاث تحيـــات وإن لم تكلم	الطويـــــل	6
الخطيئة	قـــالت أمامة لا تجزع فقلت لها	إن العـــزاء وإن الصبر قد غلبا	البسيـــــط	09
	هلا التمست لنا إن كنت صادقة	مالا نعيش به في الناس أو نشبا		
أبو تمام	قسم الزمان ربوعها بين الصبا	وقبـــولها وأدبـــارهـــا ثلاثـــا	الكامـــــل	09

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

المدخـــــــل: ظاهرة التكرار في القرآن الكريم

تعريف التكرار 3
لغة 3
اصطلاحا 3
أنواع التكرار 4
في اللغة 4
في القرآن..... 9
أغراض التكرار 11
الحث على العظة والاعتبار والتأمل 11
التقرير 11
التقرير والتوبيخ 12
زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة 13
تذكير ما قد بعد سبب طول الكلام 13
التعظيم والتهويل 14
الإيحاء بالرغبة والرهبة 14
التأكيد 15
الإيحاء باليأس 15
التعجب 15
المبالغة في الذم 15
التخصيص 16
تثبيت المكرر في النفس 16
الخلاصة 18

الفصل الأول: القصة في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعريف القصة..... 22
لغة 22
تعريف القصة الأدبية..... 23
تعريف القصة القرآنية..... 24
أنواع القصص القرآني..... 26
القصة التاريخية 26
القصة التمثيلية 31
أغراض القصة القرآنية 32
إثبات الوحي الإلهي والرسالة النبوية 33
العبرة والموعظة 35
التنبيه إلى أن الدين السماوي واحد 37
تثبيت فؤاد الرسول..... 38
بناء القصة القرآنية..... 40
الحدث..... 40
الزمن..... 43
المكان..... 45
الشخصيات..... 47
الحوار والصراع..... 50
الخلاصة..... 52

الفصل الثاني: التكرار في قصة موسى قبل الدعوة

التكرار في ظروف ولادة موسى..... 54
في سورة الأعراف..... 54
في سورة طه..... 55
في سورة القصص..... 56
في سورة إبراهيم..... 58
في سورة البقرة..... 59
التكرار في إرضاعه وتربيته..... 62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في سورة طه..... 62
في سورة القصص..... 64
التكرار في دعوته للقاء فرعون..... 70
في سورة طه..... 70
في سورة الشعراء..... 72
في سورة النمل..... 73
في سورة القصص..... 74
في سورة النازعات..... 77
إعادة ترتيب أحداث القصة..... 79

الفصل الثالث: التكرار في قصة موسى بعد الدعوة

التكرار في دعوته فرعون..... 85
في سورة الأعراف..... 85
في سورة طه..... 86
في سورة الشعراء..... 88
في سورة الزخرف..... 89
في سورة النازعات..... 89
التكرار في مواجهة فرعون..... 91
في سورة الأعراف..... 91
في سورة طه..... 92
في سورة الشعراء..... 93
التكرار في مواجهة السحرة..... 97
في سورة الأعراف..... 97
في سورة طه..... 100
في سورة الشعراء..... 102
التكرار في بقية أحداث القصة..... 105
رد فرعون بعد إيمان السحرة..... 105
رد فعل القوم بعد إيمان السحرة..... 106

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الائتمار بموسى لقتله..... 106
انطلاق بني إسرائيل وغرق فرعون..... 107
إعادة ترتيب أحداث القصة..... 110
لصوق الوثنية ببني إسرائيل..... 114
ذهاب موسى عن بني إسرائيل لميقات ربه..... 115
أمر الله بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة..... 116
بنو إسرائيل ومسألة البقرة..... 116
قصة قارون وموقف موسى بإزائه..... 116
اختيار موسى سبعين رجلا..... 117
العبد الصالح صاحب موسى..... 117
ثناء الله على موسى..... 118
الخـــــاتمة..... 121
قائمة المصادر والمراجع..... 125
الفهارس..... 130
فهرس الآيات القرآنية..... 131
فهرس الأبيات الشعرية..... 137
فهرس الموضوعات..... 138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

The quran stays a miraculous boock which affirm that "were it from other than Allah they would surely find there is many contradictions

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

why we can't compare between them because if we compare between them it means that we reduce it's value .

If we bind the phenomenon of repetition with the quranic story we should recognize that :

We haven't the right to talk about the repetition in the quranic story but about many positions of story in the quran

Only the story which can our prophet depend on can be repeated so as to help him in his prediction .

Story of Moses and his circumstances is similar to circumstance of our prophet that's why it took many places in the quran in order to be as a psychic station which the prophet and the Muslims can profit it if it's a necessary

One event can be mentioned in many places and deeply discussed in other side we can find only one sign to other event

The events are less important than their significance which means that the event is not an aim in it self .

The event narration manner must be suit to their descriptif nature of the story in surat

The repetition in the quranic stories is one of the most important affair in the quranic studies which the thinkers and all of those who have relation with had discussed it since the first apparition of the quran in the earth but their opinions were different, this matter made me to research in order to know it and take opinion about it. So after I had finished my study I arrived to these results.

The definition of the repetition was so easy to all of the thinkers because this phenomenon is one of their manner of speech

We should recognize that there is a repetition in the quran because it has many aims which the other phenomenon can not do it. in addition, we should study it profoundly because the quick observations can't help us to give it it's right

There is a great difference between the quranic story and literary story because this later is always made in order to treat a social affair or to made enjoyment but the quranic story has a special definition and dimension that's

Conclusion

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Democratic And Popular Algerian Republic

Ministry Of The Superior Teaching And The Scientific Research

Emir Abd Elkadar University

Constantine

Literature And Human

Science Faculty

Arabic Language Department

Repetition's eloquence in the story of moses

Memory presented to obtain diploma of : M.A degree in the eloquence's studies

Prepared by

BELKHEIR REFICE

supervisory professor

DOB RABAH

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية